المشرق

مئة سنة

في خدمة الدين والهيئة الاجتماعية

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

روى حضرة الاب لويس رنوڤال في مقالة سابقة باي طريقة عجيبة اقام الله الرهبانيَّة اليسوعيَّة بعد هبوطها وبعثها بعد ان تباشر اعداء الدين بموتها ودفنها الى ابد الدهر كأنَّ ابن الله اراد ان يشرك بمجد قيامته الجمعيَّة المنتمية اليه والمشرَّفة باسمه كما شركها ببوان موته

وكأني بالقارئ يسأل هنا وما هي الخدم التي ادَّتها جمعيَّة يسوع بعد قيامتها لعالم الدين وللمجتمع البشريّ ؟ أيا تُرى هل حقَّقت آمال الكنيسة فيها ؟ أوَما عدلت عن محجَّة اسلافها الكرام وخالفت سُنَن اجدادها العظام ؟

انَّ الجواب على هذا السؤال يستدعي تاريخاً موسَّعاً للرهبانيَّة اليسوعيَّة في مدَّة القرن الاخير الذي قطعت شوطهُ بعد استئناف حياتها . وهذا التاريخ قد باشر به رجال موثوق بعلمهم ونزاهتهم وهم يتقدَّمون عليه اوَّلاً تاريخ الرهبانيَّة في كلّ بلد ودولة بمفردها حتى اذا انجزوا تلك الاقسام يمكنهم جمعها في تاريخ واحد عموميّ وذلك ممَّا لا يتمّ الَّا بمجلَّدات عديدة ضخمة

وغاية ما يسوغ لنا ان نعرضهُ هنا على قرَّائنا خلاصة تلك الاعمال بوجه الاجمال او بالحري تَعداد البعض منها ليقفوا بها على مساعي جمعيَّة يسوع في سبيل الدين والهيئة الاجتماعيَّة كما فعلنا سابقاً بمناسبة مواسم ويوبيلات رهبانيَّات غير رهبنتنا . وتسهيلاً لذلك نقسم مقالتنا الى اربعة اقسام نبيِّن فيها بالتوالي خدم الرهبانيَّة للكرسي

الرسولي ثم للدين الكاثوليكي عموماً ثم للهيئة الاجتماعية واخيراً للمعارف والعلوم

ويحسن بنا قبل الشروع بالعمل تنبيه القرّاء على اننا لسنا نروم بهذه العجالة أن نطلب لرهبانيّتنا فخراً بشرياً او ان نفضلها على سواها في شيء فماذا لله ان نفتخر الّا بالربّ او ان نبخس في شيء فضل سائر الرهبانيّات التي تؤدي الكنيسة خدماً لا تُحصى وليست الرهبانيّة اليسوعيّة الّا فرعاً من دوحتها بل اصغرها فهي تلك حبّة الخردل التي نمت بيده تعالى وصارت شجرةً كبيرة وانما المجد لذاك الذي يُنهض المسكين من الحضيض ويقيم الذليل من الدقعاء ليجلسهما مع امراء شعبه. فان كانت سلالة القديس اغناطيوس أتت ببعض الثمار الصالحة في بيرة المئة السنة الاخيرة فانّ ذلك لا يعود الى من غرس او الى من سقى سواء دُعي ابولّو او كيفا بل يعود الى الله وحدهُ سبحانهُ وتعالى الذي أعطى الشجرة النموّ والإثمار. ليكن اسمهُ مباركاً الى آخر الدهور

١ الرهبانيّة اليسوعيّة والكرسي الرسولي

أنشئت الرهبانيّة اليسوعيّة قبل كل شيء لخدمة رؤساء الكنيسة العظام وأحبارها الاجلّاء. هذا ما أعلن به اغناطيوس دي لويولا مشيّد اركانها سرّاً وعلناً شفاهيةً وكتابةً في رسوم رهبانيّته. حسبك دليلاً على ذلك نذرٌ حافلٌ يتقيّد به اخصّ ابنائه وهو نذر الطاعة للحبر الروماني بحيث يستطيع رأساً ودون توسّط ان يُرسل الراهب اليسوعي الى اي بلد كان من بلاد الله لشؤون الكنيسة دون زاد ولا مؤونة مستطيباً كالفقراء في طريقه

وليس هذا النذر وعداً دون مفعول او حبراً على ورق فانّ خلفاء هامة الرسل انتدبوا غير مرّة ابناء الجمعيّة اليسوعية لقضاء بعض الاعمال الشاقّة التي لا يقوم بها الّا ذوو العزم الشديد والهمّة القعساء. فمن ذلك سفارة سرّية كان وكلّ بها الحبر الاعظم بيوس السابع الى الاب قارين فقضاها في المانية ونجّى بذلك الكنيسة من خطر عظيم. ومنها مساعدات روحيّة تولّاها اليسوعيّون في روسيّة لدى الروثانيين الكاثوليك الذين كانت الدولة الروسيّة غصبتهم على اتباع دينها وحجزت عنهم كل الكهنة الكاثوليك. لكنّ اليسوعيين اجابوا الى رغبة قداسة البابا بيوس التاسع

فعرّضوا نفوسهم الى الموت او الى السجن المؤبد فدخلوا روسيّة متنكّرين وثبّتوا اولئك المنكوبين في دينهم. وتعرف منهم اثنين مات الواحد من الاذى الذي اصابهُ مدّة تجوّلهِ في روسيّة وألقي الثاني في السجن فبقي فيهِ عدّة سنين حتى نال امبراطور النمسة من القيصر تخلية سبيله

وقد ظهرت ثقة الكرسي الرسولي بالرهبانيّة اليسوعية في احوال متعدّدة منها انَّ الاحبار الرومانيين رغماً عن امتناع رهبانها لنذر يندرونهُ برفض كل الامتيازات والمناصب الشرفيّة في الكنيسة نظّموا بقوّة سلطانهم سبعة من رهبانيّة يسوع في صفّ الكرادلة لينقطعوا تماماً الى خدمة الكرسي الرسولي. ذاك فضلاً عن كثيرين آخرين دعاهم الاحبار الرومانيون ليساعدوا المجامع المقدسة في مهمّتها ويحلّوا ما يرد عليها من المشاكل من انحاء العالم الكاثوليكي

ولمّا رأى نوّاب السيد المسيح ما صارت اليهِ المدارس من التقهقر بعد الثورة الفرنسوية والفتن في رومية وجّهوا انظارهم الى الرهبانيّة اليسوعية وبعثوا الكلية الغريغوريّة التي هي اليوم من ازهر الكليّات الدينيّة في العالم عدد تلامذتها ١٥٠٠ طالب. وقد عهدوا مدّةً رئاسة المدرسة الاوربانيّة لانتشار الايمان الى همّتهم. وكذلك اعرب الحبر الاعظم الحالي عن هذه الثقة عينها بدرايتهم اذ سلّمهم ادارة وتدريس العلوم الكتابيّة قبل خمس سنوات كما انهُ استدعى احد اليسوعيين لمراقبة المرصد الفاتيكاني وجعل سلّمهُ راهباً منهم لتنظيم المكتبة الفاتيكانيّة الشهيرة

وكان لليسوعيين حصة صالحة في اعمال المجمع الفاتيكاني بصفة لاهوتي المجمع ومهيّئي مواد المباحث. كما انهم جمعوا كل البينات التاريخيّة والطقسيّة والتقليديّة المثبتة الحبل الطاهر بريم العذراء خلافاً من الخطية الجدّية ما عدا بالحبر الروماني ان يعلن سنة ١٨٥٤ هذه الحقيقة وينظمها في سلك العقائد التي لا يجوز نكرانها. وقد طُبعت تآليفهم في عدّة مجلدات ضخمة تبكم كل من يحاول ردّ هذا المعتقد الجليل

٢ الرهبانيّة اليسوعيّة والدين الكاثوليكي

لم تقصر الرهبانيّة اليسوعيّة همّتها على مساعدة الكرسيّ الرسولي وحدهُ بل تشمل تلك الهمّة الكنيسة جمعاء والدين الكاثوليكي عموماً

وبديهيٌ انَّ حياة الكنيسة تقوم بالروحيّات وبممارسة الفضائل المسيحيَّة وذلك مما يحتاج الى مرشدين ومعلّمين ينهجون للامم السالك القويمة وينكبون بطالبيها عن موارد الضلال. وهذه مهمة التبشير والانذار من اوّل واجبات اليسوعي يقدّمها على سواها فانَّهُ حيثما حلَّ يُسرع الى نشر تعليم الخلاص بالمواعظ والارشادات والانذارات والمحاضرات فكأنَّهُ يخصُّ بنفسه الكلمة الرسولية : « الويل لي ان لم ابشر فانَّ الضرورة تضطرني الى هذا العمل » . ولا حاجة الى القول انَّ اليسوعيين الوعّاظ في هذا القرن الخامس عشر لم يدّعوا بادئاً الّا اسموا فيه كلام الله مباشرةً باصغر المعابد واحقرها الى منابر الكنائس الكاتدرائيَّة ككنيسة مار بطرس في رومية وكنيسة نوتردام في باريس وذلك في كلّ لغات العالم المعروفة. ولو جُمعت تآليف المواعظ التي ألقوها سواء نُشرت بالطبع او لم تُنشر لبلغت الوفاً مؤلفة منها لرجال ادركوا حدود البلاغة البشريَّة كالاب ماك كرتي (Mac Carty) والاب دي راڤنيان (de Ravignan) والاب فاليكس (Félix) والاب زكي (Zucchi) والاب ڤون (Vaughon) ومئين غيرهم. واكثر منهم الذين وقفوا نفوسهم الى ارشاد الصغار وتلقين الاحداث المبادئ الدينيَّة لترسخ في عقولهم منذ نعومة اظفارهم بموجب احد قوانينهم

وكثيراً ما تكون تلك المواعظ سلسلةً متواصلة على صورة رسالة او رياضة تدوم اسبوعاً او اسابيع ربما يأخذ السامعون كفئهم من تعاليم الخلاص. ولا يخفى انَّ الرهبانيَّة اليسوعيَّة اصابت دائماً في ذلك قصبة السبق لجريها على طريقة رياضات القديس اغناطيوس مؤسّسها التي تضمن لمتبعيها تنوير القارب وردّها الى الله خالقها بالتوبة النصوح. وهذه الرياضات قد انتشرت في كلّ الانحاء حتى ألفها معظم الشعب المسيحي وهي كل يوم تبهج الكنيسة جمعاء بما تنشره من ثمار الخلاص. وقد اشتهر كثيرون من اليسوعيين في القائها على الجماهير كالاب مكسيم دي بوسي (M. de Bussy) في فرنسة والاب رهو (Rho) في المانية. وربَّما كان عدد السامعين يبلغ الوفاً وربوات تضيق بهم اكبر الكنائس فكانوا يتخذون سهولاً واسعة لارشادهم. قيل انَّ المرسلين في بولونية كانوا يعظون امام خمسين الفاً بنيف وانَّ اكثر من ثلثمائة كاهن كانوا يسمعون اعترافات الحضور فلا يكفون للعمل

ومن هذه الرياضات ما يخصّص لصلاح الاكليروس وتقديس الكهنة يجتمع فيها الى نحو مائتي كاهن فيجدّدون روحهم الكهنوتيّة تحت ادارة احد الآباء اليسوعيين . ومنها ما يدعونهُ بالرياضات المُقفلة (retraites fermées) غايتها الانقطاع في العزلة الى الامور السماويّة تماماً بمناجاة الله وتأمّل الحقائق السرمديّة مدّة اسبوع او اكثر ينال المتروّضون بها نعماً خلاصيّة لا تقدّر

ولا خفاء بانّ الحياة الروحيّة تنمو في الكنيسة بالمواظبة على الاسرار وباخصوص سرّي التوبة والقربان . ولذلك ترى كهنة الرهبانيّة اليسوعيّة يصرفون قسماً كبيراً من حياتهم في تعميم هذين السرّين الكريمين لا يأخذهم في ذلك سأم ولا يثني عزمهم مشقّة ولا تعب قياماً بقوانينهم فيبحثون على مثال الراعي عن النعاج الضالّة ليردّوها الى الحظيرة ويحيوها بالمناجع الخلاصيّة . وقد كانت حرارة المؤمنين قد فترت بفعل الثورة والاضاليل العصريّة بعد الغاء جمعيّة يسوع فلمّا أُعيدت لها الحياة بادر رهبانها الى انعاش روح التقوى في المؤمنين بالمثابرة على الاسرار . ولو اردنا مقايسة ما تصنعهُ الرهبانيّة في انحاء المعمور على ما نراهُ هنا في رسالتنا السوريّة وما عايناهُ في غيرها وجب القول بانّ عشرين مليوناً من الكاثوليك على الاقلّ ينالون سنويّاً نعمة الاسرار بواسطة اليسوعيين

ولطائفة يسوع وسائل أخرى لانماء روح الدين والتقوى في الكنيسة نريد بها العبادة نحو قلب يسوع الاقدس ونحو مريم العذراء. فانّ الرهبانيّة اليسوعيّة قد اخذت على نفسها نشر اكرام القلب الالهي ودعوة البشر الى محبته لانّ من هذا القلب تصدر كنوزُ نعمٍ سابغة تغمر المتعبدين لهُ وتعضدهم في كل حاجاتهم الروحيّة والزمنيّة . وبناء عليه يستفرغ اليسوعيّون قصارى جهدهم في بيان فضل هذه العبادة وفوائدها الجمّة سواء كان بالمواعظ او بتأليف الكتب او بالمشاريع التقوية . فاليهم يُنتسب الفكر في تشييد هيكل قلب يسوع على ربوة منتسرتر في باريس فان الاب هنري رامياز (H. Ramière) كان في مقدّمة الساعين بذلك بعد حرب فرنسة سنة ١٨٧٠ . وكذلك الزيارات السوميّة الى كنيسة پاري لو منيال (Paray - le - Monial) حيث ظهر القلب الاقدس للطوباوية مرغريت ماري الاكوك . فكانت الجماهير المجتمعة من كل جهات اوربة واميركة تتقصد ذلك الزاز بكل رونق وبهجة والى

اليوم بقايا من تلك الحركة العجيبة التي كان محرّكها الاعظم الاب دروتون (Dre-von) اليسوعي. اما النشرات الدورية لنشر هذه العبادة فهي تكاد لا تحصى. ومن اخصها « رائد قلب يسوع » (le Messager du Sacré-Cœur) الذي ظهر اوّلاً في فرنسة بهمّة الاب رامبار منذ خمس وخمسين سنة (١٨٦١) ثمّ جاراهُ اخوتهُ في بقيّة انحاء العالم وهم ينشرونهُ اليوم مشاهرةً في ٣٠ لغة و ٤٥ طبعة مختلفة يُعَدّ قرّاؤهُ بالملايين. ويقارن الرائد المذكور نشرة رسالة الصلاة (Apostolat de la Prière) المنتشرة اليوم في سائر العالم الكاثوليكي

وما نقولهُ عن العبادة للقلب الاقدس يصحّ عن اكرام العذراء الطاهرة فانّ الرهبانيّة اليسوعية لا تنفصل الامّ عن الابن وساعيها في نشر التعبد للبتول المجيدة معروفة فهذه لاسيما الاخويات المريميّة التي لا يخلو منها مكان فان مؤسّسها احد اليسوعيين والسعاة بتوفيرها ابناء القديس اغناطيوس وقد حذا حذوهم الكثيرون من الكهنة العالميّين والرهبان فأقاموا اخويّات على مثالها. وقد مرّ ذكر مساعيهم المشكورة في تثبيت عقيدة الحبل بريء العذراء الطاهر من كل دنس — ومن اعمالهم في هذا القرن الاخير نشر عبادة الشهر المريمي وقد افردت مجلّتنا (المشرق ٥ [١٩٠٢]: ٣٨٥) مقالةً خاصّة لتاريخ هذه العبادة التي تمارسها اليوم كل النفوس التقوية. ومن مشروعاتهم في اكرام العذراء اقامةُ اعظم تمثال في العالم لذكرها وهو تمثال سيّدة فرنسا (N.-D. de France) في مدينة پوي (le Puy) طولهُ سبعة عشر متراً وهو مسبوك بالمدافع التي اخذها الفرنسويون في القريم من الروس. والساعي بذلك الاب رامبار اليسوعي

وكذلك التعبّد للقديس يوسف قد زاد في هذا القرن السابق زيادةً عظيمة بمساعي كثيرين من الرهبان اليسوعيين. ومما نشروهُ شركة الميتة الصالحة تحت حمايته وهي شركة قديمة انشأها سابقاً احد اعضاء جمعيّتهم فجدّدوها بعد رجوعهم. ومنها شركة العائلة المقدّسة للاب فرنكو التي اثمرت ثماراً طيّبة بين العيال المسيحيّة

ومن الوسائط التي يتّخذها اليسوعيّون لتوثيق عُرى الدين والجهاد ضدّ الكفر وضعُ المؤلّفات الدينيّة. لدينا لوائح التأليفات السنويّة التي يصنّفها اليسوعيّون في كل اقطار العالم فاذا هي تبلغ بين كبيرة وصغيرة نحو الخمسة آلاف عدًّا. فنصف هذه

التآليف في العلوم الدينيَّة على اختلاف اشكالها حتى لا تجد باباً واحداً من ابواب الدين وبحثاً واحداً من ابحاثه الَّا ولبعض اليسوعيين فيه مصنَّفات جديدة فانظر يا رعاك الله الى اي عدد يبلغ مجموعها في مدَّة مئة سنة في الدينيَّات ومتعلَّقاتها. وقد امتاز بينهم قوم في كلّ علم منها يشار اليهم بالبنان ويُعتَدُّون فيه حجَّة. هذا اللاهوت النظري اشتهر فيه پرُّونه (Perrone) وپلِيماري (Palmieri) والكردينال فرنزلين (Franzelin) والكردينال مازلَّا (Mazzella) والكردينال بيليو (Billiot) وكارتغن (Kleutgen) وهُرتر (Hurter) وغيرهم كثيرون ترين مصنَّفاتهم مكاتب الخاصَّة — وهذا اللاهوت الادبيّ يفتخر بمؤلَّفات غوري (Gury) وبالَّريني (Ballerini) وجانيكو (Génicot) وفرَّارس (Ferreres) ونولدين (Noelding) وبوكشروني (Bucceroni) ولهمكهول (Lehmkuhl) التي يتداولها كلّ من يريد ان يُحكم فنّ الفتاوى الدينيَّة — وهذا الكتاب المقدَّس الذي يركز في شرحه الاب پتريزي (Patrizzi) والآباء الالمانيُّون هُملاور (de Humm-lauer) وكتابنباور (Knabenbauer) وكورنلي (Cornely) والاب كورلوي (Corluy) والاب بروكر (J. Brucker) والاب ف. پرا (F. Prat) — وهذا التاريخ الكنسي برع فيه الاب غريزار النساري (Grisar)) والاب پرا (J. M. Prat) الفرنساوي والاب فيتا (Fita) الاسباني — وهذه الجامع احرز له في نشرها اسماً طيِّباً الاب غراندراث (Grandrath) وآباء دير ماري دي لاخ (Lacenses) — وهذه آثار الآباء قد احيا كثيراً منها الكردينال ماي (A. Mai) والاب دالس (d'Alès) — وهذا الحقّ القانوني فيه للآباء ڤلادا (Villada) وڤرمرش (Vermeersch) واوجتي (Ojetti) والرئيس العام الحالي على الرهبانيَّة اليسوعيَّة الاب ڤرنس (Fr.-X. Wernz) تآليف جليلة — وهذه تراجم القديسين لا يُعرَف في العالم كلِّه جماعة تُعنى بنقدها ونشرها كجماعة البولنديين وهم يسوعيُّون يلجكيُّون يُرجع اليهم في كلّ ما ينوط باعمال اولياء الله من اوَّل النصرانيَّة الى عهدنا. وقس عليها بقيَّة العلوم الدينيَّة كتفنيد اضاليل المراطقة والزنادقة وكالدفاع عن الدين بازاء السفسطات والمزاعم العصريَّة وكايضاح المسائل الدينيَّة العموميَّة والخصوصيَّة

ومن خدم اليسوعيين للدين الكاثوليكي مساعدتهم على انشاء جمعيَّات رهبانية

افادت الدين كثيرًا لاسيما بين النساء كراهبات السجود وراهبات قلب يسوع وراهبات الناصرة وراهبات الرياضات وراهبات بنات مريم. ومما لا ينكر انَّ الجمعيات الرهبانية المستحدثة تجري في الغالب على قوانين القديس اغناطيوس مع بعض اختلافات عرضية. وكثير منها قد اتخذ رؤساؤهم يسوعيين لارشاد رهبانهم وتهذيب طالبيهم

فيلوح مما سبق انَّ الدين وجد في جمعية يسوع عضدًا قويًا مكَّنهُ من ردّ غارات اعدائهِ ومن الفوز بما كسبه . .

٣ الرهبانية اليسوعية والهيئة الاجتماعية

لكنَّ خدمة الرهبانية اليسوعية للدين لا تشغلها عن خدمة الهيئة الاجتماعية بل لا تخدم الدين الَّا لمنفعة المجتمع البشري وخيرهِ الاعظم لانهُ من المقرر ان الدين هو اقوى اركان المجتمع الانساني وحيث يعدم الدين يعود الناس الى الهمجية

واول ما يفيد الهيئة الاجتماعية تهذيب الناشئة فانَّ ولد اليوم سيصبح رجل الغد ومستقبل الاحداث متوقف خصوصًا على حسن تربيتهم. وغنيٌّ عن البرهان انَّ الرهبانية اليسوعية منذ ظهورها في اواسط القرن السادس عشر عُرفت بتفانيها في تثقيف الناشئة حتى ضُرب المثل بحسن تربيتها. وقد رأيت في مقالة العدد السابق ما قالهُ مشاهير الرجال في سرعة الشبيبة بعد انضاء الرهبانيَّة اليسوعية. فقضى اذن على ابناء القديس اغناطيوس ان يسرعوا في رتق هذا الخرق المشؤوم ومن ثمَّ أنفذ اليسوعيون وسعهم في فتح المدارس وتنظيمها بموجب سننهم الموروثة من اجدادهم. فما لبث احداث كلّ الدول ان تقاطروا الى مدارسهم ايستقوا من منابعها مع المعارف البشريَّة افاويق التقى والتهذيب الدينيّ. فحيثما كانت تُطلق الحريَّة الكافية لرهبانيَّتنا بان تدير المدارس وتثقف الاحداث كان النجاح اليف مساعيها وتلامذتها في مقدّمة تلامذة مدارس غيرها كما هو الجاري اليوم في اسبانية والنمسة والمجر وبلجيكة وهولندة وانكلترَّة والولايات المتحدة مهما تشدّق البعض بقولهم ان مدارس الرهبان دون سواهم في العلم. والدليل على فضلهم انَّ اعداء الكنيسة لا يضبطون زمام السياسة في دولة الَّا تحاملوا على تلك المدارس وافرغوا كنانة جهدهم في النائها خوفًا من ظهور وقيها على مدارسهم اللادينيَّة كما فعلوا في ايطالية

والمانية وسويسرة وفرنسة والبرتغال حيث غلبت الماسونيّة وأتى التعليم اللاديني باثاره الوبيئة باستفحال احزاب الاشتراكيين وقيامة اهل الفوضى وازدياد الجرائم في الشبيبة الى حدّ تقشعرّ منهُ الابدان هاماً

وتتناول تلك المدارس كلّ طبقات الشعب من الفقراء والأُمّيين الى ابناء الامراء والاعيان فيثقفهم اليسوعيُّون على موجب اصلهم ويشحذونهم لمناصب بلادهم وقد زرنا البعض منها او بلغتنا سمعتُها الطيّبة كبومنت (Beaumont) وستونيهرست (Stonyhurst) في انكلترّة وكلكسبورغ (Kalksbourg) في النمسة وفلدكرش (Feldkirch) فيا لتهذيب الالمان وكالوتشا (Kalocsa) في المجر وكمدرسة القديسة جنفياف (la rue des Postes) في باريس ومدرسة الاشراف في مدريد ومدرسة الاعيان في رومية (Collegio Massimo) ومدرسة خيروف (Khirow) في غاليسية

وزد عليها مدارس اخرى حافلة لتهذيب الاكليروس كمدرسة اناني (Anagni) التي سلّمها البابا لاون الثالث عشر للرهبانية اليسوعيّة ومدارس جنوبي ايطالية التي دعاهم البابا الحالي الى تهذيبها والمدرسة الاميركانيّة الجنوبيّة في رومية (Collegio Pio Americano) وغيرها في بلاد شتى

وكم لليسوعيين ما خلا المدارس من مشاريع خطيرة يخدمون بها كلّ جيل من الالة الاجتماعيّة اخذُها مما يدعونهُ اليوم بالدوائر (cercles) او الشركات (syndicats) يجمعون فيها ضروباً من اصحاب المهن كالاحداث او الشبان او آباء العيال او الفتية او طلبة المدارس او دارسي الفنون الجميلة فيسمون في ذوالجهم المادّيّة والادبيّة ويسبلون لهم اشغالهم لكسب معاشهم او يهتمّون بترويج بضائعهم او يربّون اولادهم ويعدّونهم لقبول الاسرار او يقيمون لهم حفلات لترويح اذهانهم وتهذيب عقولهم كالدائرة التي انشأها الاب تكسيه (Texier) في مرسيلية ونوادي الاب ميلريو (Millériot) في باريس وشركات الاب آبل (Abel) في ڤينّة ونادي طلبة الطبّ الاب بريزار (Brésard) في ليون ومجتمعات العمّلة في ارلندة ومنشستر وانحاء بلجيكة . وقد اتت هذه المشروعات الهيئة الاجتماعيّة بفوائد لا يفي بها احصاء يقوم بها كلّ من يسعى بخير الشعب

وهناك امور أخرى شاقة قام بها اليسوعيون ويقومون كل يوم اعني زيارة المحبوسين وتوبيخهم بالتعازي الدينية واسعافهم في حاجاتهم الزمنية. وقد طلبوا غير مرة ان يخدموا الذين حُكم عليهم بالزمان والاشغال الشاقة المخلدة فرعظوهم وردُّوهم الى التوبة بعد حياة مملوءة من الآثام كما فعلوا خصوصاً في طولون (bagnes de Toulon) بل طلبوا ان يرافقوا المنفيين منهم الى كايان (Cayenne) فماشوا بينهم وكسبوهم الى الله وقد وكلت الحكومة الفرنسوية الى اليسوعيين في الجزائر تربية اولاد الفوضويين وابناء المجرمين ففعلوا وجعلوا اولئك الذئاب بعد ترويض اخلاقهم الشرسة وإشرابهم روح الاستقراط وعمة صالحين نفعوا وطنهم بانواع شتى وكان الاب امبرواز مونو (A. Monnot) احد رؤساء رسالتنا السورية ومنشئ كليتنا البيروتية ممن خرَّجوا اولئك الاولاد في الآداب والدين — ومنها خدمتهم للعساكر سواء كان في وقت السلم او في الحرب. ففي حروب الفرنسويين في الجزائر وفي القريم وفي الحرب السبعينية كان عدد وافر من اليسوعيين يرافقون الجيوش ويشاطرونهم الاهوال ليساعدوهم في اخطار القتال ويزوّدوهم بالاسرار الدينية. وهناك ساعة مدرستنا الكلية من آثار شكر الحكومة لليسوعيين بعد حرب القريم اعدتهم اياها لا أبدره من الغيرة في اسعاف الجنود — واليوم في خدمة العسكرية الانكليزية نحو ثلاثين من اليسوعيين الانكليز والارلنديين

ومما افاد به اليسوعيون الامة البشرية تلك المؤتمرات الكاثوليكية التي شاعت اليوم في بلاد متعددة كالمانية والنمسة وانكلترة وفرنسة حيث يجتمع سنوياً زعماء الكاثوليك ليتفقوا على الوسائل الواجب اتخاذها لترقية امور الدين وتعزيز المشروعات الكاثوليكية الخيرية والوطنية فان اليسوعيين ممن آزروا تلك المؤتمرات وعضدوها على قدر طاقتهم وقاسموا اعضاءها اشغالهم حتى اصبحت اليوم احدى قوات الكثلكة المشهود لها بالنفوذ العظيم فأقرَّ البروتستانت انفسهم بفاعليها العجيبة

ولا بأس ان نذكر هنا ما لجمعية يسوع من التآليف الآئلة الى خير المجتمع الانساني. فانهم كتبوا في كل الابحاث التي يتداولها الاختصاصيون في زماننا لتحسين احوال الهيئة الاجتماعية وحل المشاكل العديدة التي نجمت من تغيير امور الشعوب في عهدنا ليُعطى كل ذي حق حقَّه دون ان يُظلم الضعفاء ودون ان تُبخس حقوق

السادة ارباحهم . ولهم نشرات ومجلات تبحث في هذه المسائل في لغات مختلفة فضلاً عن عدة كتب مختصة بتلك الابحاث الاجتماعية

٤ الرهبانية اليسوعية والعلوم

يفتخر عصرنا بنشر المعارف وانتشار العلوم حتى كادت تسكره نشوة اختراعاته الجولية التي ما كانت تخطر على بال الاجيال السابقة . وخدمة العلوم من احدى خاصيات الرهبانية اليسوعية منذ اول نشأتها لا ينكرها عليها حتى اعداؤها . ولما استوثقت حياتها بقوة براءة البابا بيوس السابع وجهت فكرها الى نشر العلوم البشرية بأسرها لكي تثبت للعالم بأن الدين والعلم اخوان شقيقان لأب واحد هو ابو الانوار واضع اركان الدين كما هو منشئ العلوم دون استثناء

وتحقيقاً لهذه الغاية لم تكتفِ الرهبانية اليسوعية بفتح المدارس الثانوية بل عمدت الى معاهد علمية ارقى منها بانشاء الكليات الجامعة حيث تُدرَّس العلوم العليا كالهيئة والرياضيات والطبيعيات والكيميا والطب والحقوق وطبقات الارض . وهذه الكليات تبلغ اليوم فوق الثلثين (راجع مقالة الاب ل . رنڤال في المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٤٠١) يعلم فيها رهبان يعتبرون كاساطين العلم في عيدنا يجلسون في جملة ارباب المعارف في مؤتمراتهم العلمية ويجارونهم في كل ابحاثهم . ومحتوم على الرؤساء ان يختاروا في اقاليمهم المرؤوسين الذين يرونهم اجدر بالنجاح في تلك العلوم ليخصوهم بها

ومن جملة المعاهد العلمية التي يسعى اليسوعيون برقيها المراصد الفلكية التي شيدوها في اقطار عديدة يربي عددها اليوم على الثلثين في اوروبة واميركة وافريقية وآسية منها لرصد حركات الافلاك عموماً ومنها للانواء والمظاهر الجوية ومنها لمراقبة الحركات المغناطيسية والكهربائية والزلازل وبعضها تعنى برسم الخارطة السماوية وغيرها تأخذ رسوم الشمس في تقلباتها واجيج نيرانها كما يفعل مرصد ستونيهرست الذي خصصنا به مقالة (في المشرق ٩ : [١٩٠٦] : ٨٩٩) . ومديرو هذه المراصد كلهم رجال مختصون بالعلوم لهم اختراعات نالوا امتيازها في المجامع العلمية ذكرنا بعضها في مجلدات المشرق السابقة . وقد اضحت اسماء الاباء ڤيكو (Vico) وسكي

(Secchi) ودي شفرنس (de Chevrens) وهاغن (Hagen) وبري (Perry) وسدغريفس (Sidgreaves) ولافونت (Lafont) وألفه (J. Algué) وغيرهم كثار على علم

ولهذه المراصد نشرات خطيرة ينشئها اصحاب كل مرصد ويبادلون بها منشورات المراصد الدولية. وقد بلغ خطر بعضها الى ان اخذت الحكومات على نفسها بان تدفع نفقات طبعها كما تفعل حكومة الولايات المتحدة في مانيليا وفي جورجتون

على انَّ الرهبانية اليسوعية تفضل على سائر المعارف الانسانية الفلسفة والعلوم النظرية فان عدد فلاسفتها ذوي التآليف المعتبرة يُحصَون بالعشرات حتى النسات كالاباء طونجيورجي (Tongiorgi) وليبراتوري (Liberatore) وسكافيني (Scaffini) وكرنلدي (Cornoldi) في ايطالية وكاتَرين (Catherein) وفريك (Frik) وبودر (Boedder) وبيش (Pesch) في المانية وكالاب دي سان (de San) وفاندر آا (Van der Aa) في اسبانية وبلجكة — ولا ينسى اليسوعيون الرياضيات والطبيعيات برزَ منهم فيها كثيرون كالاباء جوبر (P. Joubert) وبابين (Pépin) وفاطون (Faton) وميشال جوليان (M. Jullien)

ومما يشهد على اعتناء اليسوعيين بالعلوم التآليف العلمية التي ينشرونها سنوياً في العصور فانها تتناهز الالف في كل عام يصنفها رجالهم الاختصاصيون في كل مطالب العلوم. وبعض هذه التآليف قد كأللتها الجمعيات العلمية وجازت واضعيها بامتيازات شرفية ومبالغ مالية ذات شأن

هذا فضلاً عن نحو ثلاثين مجلة في عدة لغات تشمل مقالاتها كل دائرة المعارف البشرية ومنها ما اناف عمرها على خمسين سنة كمجلة التمدن الكاثوليكي (Civiltà Cattolica) ومجلة الابحاث (Etudes) ومجلة الاصوات (Stimmen) الخ

ولليسوعيين في باجكة واسبانية وهولندة واميركة نوادٍ لدرس العلوم الميكانكيَّة والرسوم والهندسة والفنون الجميلة (Instituts techniques) يقصدها الاحداث من انحاء الاقطار ليحرزوا شهاداتها

ومن خدم اليسوعيين للعلوم اهتمامهم بالآثار القديمة واستخراجها من بطن

الارض. اخصّها مآثر ديامس رومية فانّ الاب مركي (Marchi) نال في ذلك شهرة عظيمة وهو استاذ الكنت دي روسي (de Rossi) اكبر الاثريين في القرن المنصرم. وكذلك الابوان غاروتشي (Garucci) مؤلف الكتاب الخطير « تاريخ الفنون النصرانيّة» (Storia dell'Arte Cristiana) في ستّة مجلّدات ممتعة مع تصاوير بديعة. وبوناڤنيا (Bonavegnia) الذي يشتغل حالاً في تلك الآثار

واشتهر في فرنسة ثلاثة يسوعيين يُعدّون انمّة في فنّ الآثار وهم الاب مرتين (Martin) والاب كاييه (Cahier) والاب دي لاكروا (de la Croix) فاشتغل الاوّلان بوصف الابنية الدينيّة القديمة ونقوش الكنائس وزجاجاتها المصوّرة. اما الاخير فاثار من بطن الارض مدناً كاملة كان اخفى عليها الدهر فاصاب من الفخر ما حدا بالجمعيّات العلميّة ان تنظمه في سلكها وتجازي اكتشافاته بالجوائز الشرفيّة وقد اقامت له بعد وفاته آخرًا تمثالاً مشيرةً الى فضله. ومثلهم الاب پاليو (P. Pailloux) مهندس مدرستنا الكليّة فانهُ نشر كتاباً كبيرًا عن هيكل اورشليم هو تحفةٌ في بابهِ

ومن هذا القبيل مجاميع متحفية نفيسة عُني بتأليفها بعض اليسوعيين كمتحف للنقود القديمة والآثار في مدرسة كالكسبورغ ومدرسة مدريد ومدرسة بروكسل وبعض مدارس اميركة. وكمتحف التاريخ الطبيعي كالحجارة والمعادن في فلدكرش ومدرسة سان لويس والنباتات والحشرات كمتحف الاب طوران (P. Torrend) في البرتغال وكمتحف الفراشات للاب دي جوانيس (de Joannis) في باريس ومتحف الطيور في مدرسة شيكاغو وكلها ممدودة بين اكمل المجاميع واحسنها نظاماً

هذا فضلاً عن المكاتب المنظّمة التي يهتمّ اليسوعيّون بانشائها وتنظيمها حيثما حلّوا فانّ حذقهم في هذا الباب معروف وليست في عهدنا مكاتب عدّة مدن وبلديّات في اوربّة سوى مكاتب اليسوعيين ضبطوها عند تنظيمهم كما ترى في مكتبة ليون القديمة التي لا تزال صورة الاب منستريه (Ménestrier) ناظرها القديم منصوبة في صدرها. ومن المكاتب الجديدة التي انشأوها في العصر الماضي مكتبة البولنديين في بروكسل يقصدها الزوّار من كلّ جهات العالم اذ لا تماثلها اخرى في ما يتوط بالقديسين واوليا. الله. ومكتبة المدرسة الرومانيّة التي ضبطتها الحكومة الايطاليّة وجعلتها مكتبةً عموميّة ومكاتب الاديرة الانكليزيّة الغنيّة بوارداتها. وكانت في فرنسة

عدَّة مكاتب حافلة تضمضع اليوم شملها بضبط الحكومة المدارس اليسوعيين كمكتبة مدرسة القديسة جنفياف في باريس كان يرأسها احد مشاهير العلماء الاب كولمبيه (P. Colombier) ومكتبة مجلة الابحاث في باريس ايضاً ومكتبة ليون الشهيرة بآثارها التاريخيَّة . ولحذق اليسوعيين بنظارة المكاتب وكلّ الحبر الاعظم لاون الثالث عشر الى الاب اهرلي (Ehrle) نظارة مكتبة الفاتيكان وولى الملك ليوبلد الاب ڤان دن غان (van den Gheyn) على حراسة الكتبة الملكيَّة في بروكسل

ومما يدلّ على ثقة ارباب الدول بالرهبان اليسوعيين في العلوم انَّهم انتدبوهم مرارًا لتمثيل دولهم في المؤتمرات والبعثات العلميَّة . كما فعلت الدولة الانكليزيَّة مرَّتين اذ عيَّنت الاب پرّي (Perry) لرصد انخساف الزُّهرة والاب كورتي (Cortie) لرصد كسوف الشمس . وكذلك ولَّت بلجيكة بعض اليسوعيين حضور المؤتمرات باسمها واستدعى شيخ الفاتيكان الاب اهرلي المذكور ودي كارا الايطالي (de Cara) الى مثل هذه الوظائف الشرفيَّة

هذا نظر اجمالي عن اعمال اليسوعيين في مدَّة القرن المنصرم ومنهُ يتَّضح انَّ رهبانيَّتهم لم تخب آمال الذين احيوها بعد موتها . ولا بُدَّ ان ننبِّه القرَّاء على امرَين : الاوَّل انَّنا لم نعرف كثيرًا من اعمال اليسوعيين في الاقاليم البعيدة كاميركة وغاليسية وهولندة فلم نلتمح اليها الَّا تلميحًا خفيفًا . والثاني انَّ اليسوعيين كانوا أتوا بما هو اعظم واوسع من ذلك لو اصابوا الحرِّيَّة الكافية في العمل فكم غُلَّت ايديهم بمناهضة اعداء الكنيسة وكم اثاروا عليهم من الاضطهادات واستصفوا اموالهم فطُردوا من روسيَّة اوَّلًا ثمَّ نُفوا مرَّةً من اسبانية وثلاث مرار من البرتغال ومرَّتين من فرنسة ومرَّة من ايطالية ومن المانية ومن سويسرة وكلّ ذلك بلا محاكمة ولا ذنب اقترفوهُ غير كونهم اعضاد الدين واعداء الثورة والماسونيَّة

وكذلك قد اضربنا عن ذكر اعمال اليسوعيين في الرسالات الاجنبيَّة لانَّنا نريد ان نفرد لهذا الموضوع مقالة خاصَّة ان شاء الله

فعسى ابناء القديس اغناطيوس ان يجروا في القرن الثاني بعد قيامة جمعيَّتهم في الخطَّة التي سلكوها حتى اليوم بل يزيدوا همَّةً في خدمة الكنيسة والمجتمع البشري لمجد الله الاعظم وخلاص النفوس

القاضي البَدْويّ في شرقيّ الاردن

لحضرة الخوري بولس سلمان

بحثنا في مقالتنا الاخيرة عن الشعر البدوي الحالي وآنسنا من ارتياح القراء اليها وكمال رضاهم عنها ما استنهض همتنا على مضاعفة الجهد في مرضاتهم واستئناف العمل في تسطير تلك النثرات الغريبة في بابها التي قلما دوّن فيها حملة الاقلام بحثاً وافياً وقولاً شافياً. وقد احببنا اليوم ان نحدث مطالعي الشرق الكرام عن القاضي البدوي او الحاكم الاعرابي في شرقي الاردن

ولم نرضَ بنقل ما طالما سمعناهُ عن الحكّام وذكاء قلوبهم حتى رحلنا بنفسنا الى مضارب الاعراب ونزلنا تحت خيامهم وحضرنا مجالسهم وتعهّدنا قاضيهم ورأينا مجرى الدعوى وفحصنا عن عوائدهم وطبائعهم. وكان الحاكم في اثناء ذلك يُملي علينا قانون البادية ونظام القفر ويقرّب الينا إدراك القوانين البدوية والشرائع القليلة السماعيّة بأمثال عديدة ونوادر فريدة. وقبل ان نطوي البيداء للبحث عن اخلاقهم كنّا نخال انهم اقوام مستقلّون بانفسهم لا يذعنون لسلطان ولا يخضعون لنظام شأنَ الامم المتوحشة البعيدة عن مراقي النجاح والعمران. فما توغّلنا في قبائلهم وحللنا في ربوعهم حيناً من الدهر قصيراً حتى عاينّا هنالك شيخاً مهيباً وزيناً تنقاد اليه العشائر باجمعها وتتطأطئ لهُ نواحيها اكراماً واجلالاً ألا وهو القاضي العظيم الساند على القبائل بنفوذ كلامهِ وصائب آرائهِ المنقاد عنان الحكم في كبير الامور وصغيرها تُرفَع اليهِ الدعاوي من اطراف عشيرتهِ فيحسم الشقاق ويظهر الحق من الباطل. ولو بادت تلك السلطة الحيّة من بيوت الشعر لاصبح القفر دار حرب متواصلة تتصادم فيهِ القوى المتنوّعة فيأكل القويُّ الضعيفَ وتفنى الافراد بين ذاك التيّار الهائل. ولا يخفى على المطالع اللبيب ان البدوي سيّئ الاخلاق فجُّ الطباع صعب المراس متكبّر النفس لا يهدأ لهُ هادئ ولا يقرُّ لهُ قرار حتى يأخذ ثأرهُ. واذا جرت بينهم مجادلة ونطق احدهم بكلام غليظ جافٍ عمد الشتوم الى اسلحتهِ واشهرها ولولا صوتُ الحاكم وخوفهم من عقابهِ لجرت الدماء وبادت النفوس على حدّ السيوف

ومما يجب التنبيه اليه ان أنظمة البوادي تقليدية غير مسطرة يتناقلها الخلف عن السلف ولا يغيّرون منها مادّة فهي وديعة ثمينة ورثوها عن آبائهم فيكرمونها اكراماً عظيماً ولا يميلون عنها يمنة او يسرة. على ان عوائد الاعراب اخذت تتبدّل كل يوم شيئاً فشيئاً لدخول الدولة العلية بينهم. وقد آثرنا ان نبيّن الأحكام البدويّة قبل ان تُمحى من حوافظ الشيوخ وتصبح نسياً منسياً

ولا ريب ان بحثاً في القضاء العربي تلذّ مطالعتهُ لاسباب وافرة غير التي اوردناها فان محبّي الكتاب الكريم يجدون بين الاعراب وشعب الله الاسرائيلي مشابهة غريبة تعينهم على ادراك ما اشكل عليهم من الآيات المقدسة ومن وصف حالة الاعراب في دهرنا الحاضر تمثل ما كان عليهِ العبرانيون في الصحراء مدّة اربعين سنة حينما كانوا كالقبائل الظاعنة ينتقلون في برّية سيناء من ربوع الى ربوع طلباً لمراعيهم

*

وقد اتينا في مقالتنا هذه على ذكر معنى كلمة القاضي عند العرب وصفاته وما تحتاج اليهِ الدعوى من الشهود والكفلاء. ودوّنّا اسماء القضاة المشهورين وسطّرنا شيئاً من قضائهم الماضي والحاضر فنقول:

١ ما هو القاضي البدوي

ان قضاة العرب يمتازون عن القضاة الذين اقامهم الله ليخلّصوا بني اسرائيل من اعدائهم ولو كان الكتاب المقدس يسميهم قضاة او قضاتة اي حكّاماً فهم قوّاد حرب اختارهم الرب لأيّام محدودة ولغاية معروفة وهي انقاذ الاسرائيليين من ايدي الامم المجاورة لهم. ولم تُرفع اليهم دعوى للقضاء فيها غير ان دَبُورة النبيّة وحدها خُصّت بالقضاء دون غيرها. فاننا نتلو في سفر القضاة (٤: ٥-٦): «وكانت دبورة تجلس تحت نخلة دبورة بين الرامة وبيت ايل في جبل افرائيم وكان بنو اسرائيل يصعدون اليها لتقضي لهم». واما قضاة العرب فانهم يقودون الغزوات ويحملون الحملات على الاعادي الّا ان ذلك في سبيل العَرَض فهم حكّام نُصبوا للحقّ في البوادي

القاضي كما حدده القانون الروماني هو شخص عمومي تقيمهُ السلطة الشرعية لاظهار الحق: «Judex est persona publica ab auctoritate legitima ad jus dicendum constituta» وفي الشرع هو الذات الذي نُصب وعيّن من قبل السلطان لفصل وحسم الدعوى والمخاصمة الواقعة بين الناس وفقاً لاحكامها الشرعية المحمدية (انظر مجلة الاحكام مادة ١٧٨٤ فصل في القاضي وصناعته). فلا نعني في بحثنا هذا عن القاضي الديني لان العرب لا يلتجئون اليهِ الّا في الامور الدينية واما قاضي العرب فهو امير من امرائهم يُعرَف بتوقد ذهنهِ وسرعة خاطرهِ وجودة نقدهِ وسداد حكمهِ تُسلّطهُ القبيلة او العشيرة على افرادها لاظهار الحق من الباطل طبقاً للتقليدات البدوية والعوائد القديمة النقلية

على ان الاعراب لا يرضون بقاضٍ واحد كبير يترأس عليهم بل يوكلون القضاء في الامور الصغيرة الى وجوه العشيرة وكهولها فيأتون اليهم ويعرضون دعواهم فيحكمون بينهم بحسب عوائدهم الجارية. فهؤلاء هم رجال الامن والسلام فلا ينالون كالقضاة الحقيقيين راتباً لقضائهم وانما يعملون ذلك كما يقولون لوجه الله الكريم. والمتخاصمون يلبثون احراراً في الخضوع لحكمهم او رفضهِ ورفع الدعوى الى القاضي الاكبر

ودونكم النادرة الآتية تبيّن محلّ كبار العشيرة في مضارب الاعراب: في الخامس عشر من شهر شباط الماضي ذهب قوم من السيحيين ليدفنوا الشيخ عوّاد وهو كبير من كبار الكرك فأوروهُ التراب وعادوا راجعين الى بيوتهم وما كادوا يبتعدون عن المقابر حتى سُمع صوت عظيم واذا بالذين رافقوا الجثة الى المدفن يتشاجرون ويتلاطمون وحدث اذ ذاك صراخ أليم (١ وقد جُرح في تلك المعركة رجلان من أسرتين مختلفتين وانتشر البغض بينهما الى ان عمّ البلاء وكاد الدم يسيل ويُفني الاهلين والاقرباء. فسعى الوجوه في مصالحتهم ورجعت الامور الى مجاريها

١) توجد في بلاد السلط عادةٌ حسنة وهي ان جيران الميت المدفون يدعون اقارب المدفون لتناول الطعام عندهم وتدعى وليمة المتأيس. غير ان كثيرين يتشاجرون لان كل واحد منهم يريد اخذهم الى بيته اوّلاً. وهذا ما حدث في الحكاية المذكورة

فالقضاة بهذا المعنى هم الكهنة وشيوخ الاسلام وكبراء الأسر وعظماء العشيرة وامراء المدينة المعروفون ووجوه الاعراب وقد عهدتُ الشيخ عودة بن عيسى وهو شيخ قرية ماعين قد اصلح بين عرب العوازم في امور كثيرة واطاعوه فيما امر. وكذلك الشيخ يعقوب الشويحات في قرية مادبا وأسرة الجوابرة في السلط. وهؤلاء هم القضاة الصغار لو صحّ ان ندعوهم بهذا الاسم. والدولة العلية اخذت من عهد قريب ترسل بعضاً من حكّامها كالمتصرّف او القائم مقام ليصلح بين العشائر كما فعلت في شهر ايار الماضي اذ ارسلت متصرف الكرك فهم بك لتصالح عرب بني صخر وتضع السلام بين شيوخهم

ولو رمنا المقابلة بين الاعراب الحاليين والاسرائيليين لوجدنا وجهاً للمشابهة قارأ نتلو في سفر الخروج (١٨: ١٣—٢٧) ما نصّهُ وهو ينطبق حق المطابقة على حالة الاعراب في ايامنا الحاضرة:

« ولمّا كان الغد جلس موسى ليقضي للشعب فوقف الشعب امامهُ من الغداة الى العشيّ فلمّا رأى حمو موسى جميع ما يصنع للشعب قال: ما هذا الذي انت تصنعهُ للشعب ما بالك جالساً وحدك وجميع الشعب واقفون امامك من الغداة الى العشي. فقال موسى لحميه: ان الشعب يأتوني ليلتمسوا امر الله اذا كانت لهم دعوى يأتوني فاقضي بين الرجل وصاحبه واعرّفهم فرائض الله وشرائعهُ. فقال لهُ موسى حموه: ليس ما تصنعهُ بحسن فانك تكلُّ انت وهذا الشعب لان هذا الامر فوق طاقتك لا تستطيع ان تتولّاه وحدك. والان اسمع مني فأشير عليك فيكون الله معك كن انت عن قبل الله ترفع دعاويهم اليهِ وانت فانظر من جميع الشعب اناساً اتقياء اتقياء قوم مستقيمين يكرهون الطمع وولِّ منهم عليهم رؤساء مئات بين الف ومئة وخمسين وعشرة فيكون انهم يقضون للشعب في كل وقت ويرفعون اليك كلَّ امر عظيم وكلَّ امر صغير يحكمون فيهِ هم وخفّف عن نفسك وهم يحملون معك. فسمع موسى من حميه وصنع كما قال لهُ فكانوا يقضون للشعب في كل وقت وكل دعوى صعبة يرفعونها الى موسى وكل دعوى يسيرة يحكمون هم فيها »

فقد يوجد في كل عشيرة شيخ كبير تُرفع اليهِ الدعاوي الكبرى وشيوخ احطّ منهُ قدراً ومنزلة فهم وجوه العرب يحكمون في الدعاوي اليسيرة. فان عرب بني حسن القاطنين في شمالي نهر الزرقاء وجنوبهِ لهم قاضٍ كبير يسمى عوّاد بن قلاب وهو قاضي البلقاء ولهم قضاة عديدون يحكمون في الامور الصغيرة فهؤلاء الحكّام هم

حسين العلي الابراهيم من الخوالدة وحمدان الزبودي ودغمي السمير ومحمد العيطان الحرحشي وكايد اخو رشيدة من الرشيدات. فيقولون في كلامهم الجاري: «الشيخ فلان قاضي الحق على القبيلة الفلانية». ويقولون: «فلان قعد للحق عند القاضي الفلاني» اي رفع دعواه الى القاضي

غير ان القاضي الكبير يرث الحكم بعد وفاة ابيه ولا يتسلط على الاعراب الا اذا نال رضى الجميع بسديد رأيه ومعرفته للحقوق البدوية. وللقاضي سلطة واسعة تفوق سلطة الحكام في الممالك المتمدنة والربوع العامرة فاذا تكلم انقطع الحديث وباد الاعتراض وصمت المتخاصمون وهو يكون عادة شيخ العشيرة فتجتمع فيه وظيفتان مختلفتان فهو شيخ الاعراب وقاضيها. فان فرّاز الفايز هو شيخ بني صخر وقاضيها وكذلك سالم الفنيخات ورذيفان المجالي وابن حديد وعواد بن قلاب. وربما افترقت الوظيفتان فنال احدهم الوظيفة دون الاخرى فان شيخ العوازم هو ابو ستة ابو وندي وقاضيهم هو عبد المهدي. ومن غريب ما يحدث ان الامير الكبير يقف امام القاضي كما يقف الخصم الصغير ويرفعان دعواهما اليه وربما حكم القاضي على الامير المجرم. فان عبد المهدي قد حكم على ابي ستة امير عرب العوازم

ومن عوائد العرب ان الولد يتولى القضاء بطريقة الارث لانهم متولعون بحفظ النسب الكريم والاصل الاثيل فاذا وجدوا فيه الكفاءة الضرورية نصبوه حاكماً عليهم وتلدوه السلطة الرئاسة. فلو سألنا عوّاد بن قلاب عن اصله اجاب ان اباه كان كريم الجد اثيل البيت فارساً شجاعاً تهابهُ البيدا. كايا ونال ابنهُ منصب القضاء بعد وفاة ابيه لتوقد ذهنه وذكاء فزاده. ساروا عرب العمر قضاة الدهر الغابر في جنوبي الكرك: اين عزكم القديم ومجدكم الماضي فيقولون قول الشاعر العربي:

هي الامور كما شاهدتها دُوَلٌ من سرَّهُ زمن ساءتهُ ازمانُ
وهذه الدار لا تبقي على احدٍ ولا يدوم على حال لها شانُ

غاب الزيادي الذي كان آيةً في الذكاء والفطنة. غاب كطائر لم يترك من بعده اثرًا وكثيرًا ما نجد قضاةً نالوا القضاء بكدهم وسعيهم ومجالستهم للقضاة المشهورين فاصبحوا بعد الزمن القليل كالحكام تتوارد اليهم الاعراب من كل اطراف البادية. وكنت احدث يوماً بعض شيوخ العرب عن هذه الامور فقال: «البعض يدرّجون

من مهدهم الى المناصب العالية دون تعب والبعض ينهضون بسامي عزائمهم الى ارقى المراتب

٢ صفات القاضي الاعرابي

لا بدَّ له ان يكون متانهب الفؤاد مستقيماً في قضائه عارفاً بتقليدات البداوة صبوراً على هفوات الخصوم مهيباً في النطق والكلام والحكم

فقد طالما مدح الشعراء ذكاء العرب وروى الرواة عنهم اموراً مستغربة يكاد العقل ينبذها وكنا حين نتلوها مسطَّرةً او نسمعها منقولة نظنها ضرباً من المغالاة او نكاد نتصورها من المخترعات لولا صدق المسطرين ووفرة الرواة الى ان رأينا قضاة العرب الحاليين وايقنا ان العرب من اسمى الشعوب فهماً وادراكاً. ولو قدَّر لهم المولى ان يتلقنوا العلوم في المكاتب الرفيعة والمدارس العالية لبلغوا درجة سامية من المعارف والفنون وغدوا من افاضل العلماء. ومن دعاوي ذكائهم تنحيهم عن رفاهية التمدن الفاسد وانفرادهم بالبادية وصافي سمائها وشمسها. فالقاضي عندهم سريع الفهم والادراك ولقد سمعتُ قاضي العوازم عبد المهدي يرد الادلَّة الساطعة لاقناع احد الخاصمين وحمله على المصالحة مما دلَّ على صفاء عقله وتوقُّد ذهنه فكان يقول لاحدهم: «تبغي كلامك على رمل زاحف وسيل جارف». وكنت احدِّث نفسي حين اسمعهُ اني لم ارَ ارجح منهُ فؤادًا ولا اسرع تناولًا فقد يباري فهمهُ سمعهُ ويفهم من التلميح قبل التصريح

ودونكم قضاء ابن بسير عجزت عنهُ علماء الشام وقضاتها وفقهاؤها:

يُروى ان رجلًا من اغنياء دمشق طلَّق امرأتهُ في سورة الغضب وكانت قد ابتاعت بريال سريرًا دون ان تستأذنهُ في ذلك فاقسم انها طالقة ان لم ترد الريال عينهُ فصعب الامر في عينيها لانَّ التاجر البائع يملك في خزانته عددًا وافرًا من هذه النقود. ولمَّا افاق الرجل من سكرة الحنق والغيظ وراجع عقلهُ وحاسهُ ندم اشدَّ الندامة على فعلهِ هذا فقضى حينًا طويلًا يبكي ويتلهف على امرأتهِ. اخيرًا طلب لحلّ هذا المشكل فتوى من علماء الشام فما استطاع احد ان يحلَّ عقدهُ ويرد عليهِ جوابًا سديدًا بل كانوا يردّدون عليهِ هذه الكلمات الوانة: «هو الشرع لا يُنقض انها طالقة انها طالقة»

فسمع ابن سمير وهو في الشام بما جرى فقال للمفتي: « جعلت فداك يا سيدي هل الرجل مُغرم بامرأته قال: كيف لا وقد اصبح ضامر الجسم شاحب الوجه أليف الحزن والكمد فلا تصفو له حياة بدونها ولا يحلو له عيش بعد فراقها. فلما سمع ذلك امر باحضاره وألّا مثل بين يديه واذا هو مكروب النفس مضطرب البال وما كاد يكلّمهُ حتى اظهرت الدموع سرّهُ واخذ يحدث القاضيَ البدويَّ عن الطافها وما تركت في فؤاده من الغمّ والشجن فقال القاضي ابن سمير للمفتي: أحضروا صندوق التاجر كلهُ فلا ريب ان الريال يكون بين الدراهم. فاستهزأوا الامر ورجعت المرأة الى بعلها فانذهل قضاة الشام من نجابته وحسن حلهِ لذاك المشكل الذي لم يجدوا لهُ مخرجاً.

وللقضاة حوادث غريبة تفصح بجلي البيان عن توقّد ذهنهم سنذكرها في محلها

وكم من مرة حُرم الابن القضاء بعد وفاة ابيهِ لبلادة عقلهِ وسوء ادراكهِ على ان ذلك يندر جدًّا بين الاعراب لما يصيب صاحبه من الذلّ والهوان ولهذا لا يفتر الاب عن نصيحة ابنهِ وارشادهِ الى ما يؤول لصالحهِ فتراهُ دائمًا يذكّرهُ بالابطال الشجعان والفرسان المشهورين. وكثيرًا ما يورد لهُ قول الشاعر العربي:

بقدر الكدّ تُكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي

روى لي سالم ابو الغانم الشيخ القاضي المشهور بين عرب الغنيات ان اباهُ كان يصف لهُ سعيَ النحل لجمع الزهور واصطناع العسل ويمثل لهُ روايات عديدة عن ذكاء النحل وكيف يدّخر لايام الشتاء مؤونتهُ. ويصوّر لهُ امثالًا عن الحيوانات والنباتات كي يدفعهُ للسعي وراء الحكمة والفطنة فاصبح ولدهُ بعد نصائح ابيهِ المؤثرة اميرًا من امراء البيداء وقاضيًا مشهورًا يُرجع اليهِ في الرأي والمشورة

وقد ذكر لي الشيخ عبد المهدي ان القضاة مدرسةٌ ابتدائية يتلقون فيها مبادئ القضاء والحكم فهو مضرب الاعراب ولاسيما مجلس ابيهم وقاضيهم فالمرشّح لهذه المرتبة الرفيعة يقضي ايامهُ في خيمة القاضي الكبير ونراه وهو في الثامنة من عمره يلعب مع الاولاد الداب العرب (١) واذا جلس الوجوه والعظماء في خيمة القاضي ترك تلك الملاهي واتكأ بالقرب من الامير صامتًا بخشوع واحترام يسمع القضاء بانتباه

(١) الداب العرب هي الدرو والقنب والخاتم والطاقة وغيرها وسنذكرها في غير هذه المقالة

من بدء الدعوى الى آخرها وعيناه الصغيرتان تنتقلان من واحد الى آخر فطوراً يرمق الى الشيخ ومهابته، وطوراً يلتفت ويعاين حركات المتخاصمين فهذا عوّاد بن قلاب قاضي البلقاء كما كان في صباه وربيع أيامه مترعاً بالالعاب الصبيانية فلا يدع كلباً الّا ويصاحبهُ ولا العوبةً من ألاعيب الفتيان الّا ويمرّن نفسه عليها على انهُ كان يتركها ويتجنب كل هذه الاباطيل عند مرافعة الدعوى فقد اتقن النظام البدوي وغدا ماهراً في ضروب القضاء.

واذا تهيأ الحاكم للقضاء لا بد لهُ ان يبدو بمظاهر العدل والاستقامة في جميع مناهجهِ. ومن عادات القضاة انهم لا يقبلون هديّة من احد المتخاصمين قبل رفع الدعوى ولا يتناولون الطعام في الولائم لئلّا يميل قلبهم الى الباطل وعندهم مثل يقول: «أطعم المرء تقوده بخشومه» (تقدهُ بخيشومهِ) اي تجرّه الى حيثما تشاء. اتى بدوي يدعى سلامة الى الشيخ فواز قاضي بني صخر وقال: تلطف ايها الامير واقبل مني هذه الفرس الكريمة. فقال القاضي بصوت مرتفع ووجه غضوب: حسبُك لقد ادركتُ ما تريد. ثم بعد ايام رُفعت الى القاضي دعوى في حادثة دم وكان مقدم الفرس من المجرمين فحكم القاضي عليه وعلى اعوانهِ ومن جملة ما اورد من الادلة لاقناع الجمهور الحاضر قولهُ: «ايها الرجال الكرام لو كان سلامة صاحب الحق لما احتاج الى استخدام الوسائط السافلة فالحقّ نور ساطع لا تخفيه الهدايا ولا جزيل الشرايا» وعنى بذلك عن المال والطعام اللذين لا يجديان صاحبهما نفعاً في القضاء. ولقد صدق ابن قلاب حين قال: «أحكمُ على اخي ولو كان من لحمي ودمي». ولهم عادة حميدة تذكر بالثناء عليهم وهي ان قاضي العشيرة اذا رُفعت اليهِ دعوى باحد اقاربه الادنين او بمن تقرنهُ بهِ روابط المودّة والاخاء لا يحكم فيها بل يسطرها الى قاضٍ غيرهِ من القضاة المجاورين ارباب العدل والانصاف لئلا تقع الظنون عليهِ. وكان يحدثني بذلك عبد المهدي فقال: «لو اضطررتُ الى الحكم على اخي او ولدي أحكم والحزن في فؤادي ولكني لا اتأخر عن ذلك لاننا معاشر الحكام نؤاب عن العشيرة وكيف نحابي الوجوه وعينُ الله ساهرة لا تغفل عنا تراقبنا وتتعقب حركاتنا وسكناتنا»

ومما يبعدهم عن سبل الرشوة ما لهم من الراتب المعدود لكل دعوى يحكمون

فيها. وهذا الراتب يسمى عندهم رزقة كما سنبينهُ في محلهِ. ولسنا نعمُّ القول بان القضاة جميعهم يأنفون الرشوة والهدايا ولا يطأطئون هامتهم للذلّ والهوان فمنهم من سار على مثال غيرهِ من الحكّام الذين يجاورونهم وفقاً لما قال الشاعر:

واذا الامور تعسّرتْ فعجزتَ عن ادراكها
فامدُدْ يديك وأعطهم دينارك مفتاحها

فاذا نالوا نصيباً من الهبات والهدايا حرّفوا القانون عن معانيهِ القديمة واتوا بشرح مُبهم طبقاً لاهوائهم ورغائبهم فلا تراقبهم عين المراقبين ولا تعارضهم يد المعارضين لأن الجهل سائد بين الاعراب

وكنا فيما سبق بيّنّا انَّ القانون تقليدي فلا بد للقاضي اذن ان يعرف عوائد العرب وطبائعهم وقدماء الشيوخ من قبلهِ. وعليهِ ان يطابق الحوادث الجارية والدعاوي المرفوعة طبقاً للاحكام التي رسمتها لهُ القضاة. ولقد حضرتُ في مجلس عبد المهدي قضاء يدلُّ على تمأُّق العرب بما ورثوه عن ابائهم من العوائد الحميدة والقبيحة ودونكم مجراه: كان كبار العرب جالسين في المضرب فتقدَّم المدّعي وجلس في وسط الجماعة وقال: «يا سيدي القاضي ان فلانًا وفلانًا وفلانًا قد اعطوا ارضاً واسمة لسالم الحلّاقين (وهو بدوي) والارض لا تخصُّهم بل هي ملك العشيرة كلها ولا يقدر احد ان يتصرَّف بها لا يخصُّهُ بل بما تملك يداه دون غيرهِ وان شاء الله بحكمك العادل تعيد الارض الى اصحابها». ثم جلس في محلّهِ بين الجماعة فقام المدّعى عليهِ وهو سالم الحلّاقين وجلس في وسط الجماعة وقال: «يا سيدي القاضي يا عبد المهدي ويش تقول (اي ما رأيك) في انسان وهب هبة من نفس طيبة راضية وطاب بعد ذلك استرجاعها والمر. الكريم لا يسترجع ما وهب واني لأعدُّهم من كبار قومهم اذا اعطوا شيئاً تعطي العشيرة ما وهبوا». وكان عبد المهدي الى يميني فانحنى اليَّ وقال: كيف رأيك في هذه المسألة. فقلت: على ما اظن ان الذين وهبوا الارض قد وهبوا ما يخصُّهم فقط لان المثل يقول: يجود الخيّرون بمالهم وهزلاء جادوا بمال غيرهم فقال: هذا رأي صائب لو كنا في بلاد الناس اي في البلاد الراقية المتمدنة ولكن حسب عوائد العرب ان وجوه القوم اذا جادوا بما يخصّ العشيرة كلها فان العشيرة لا تردّهم خائبين بل انها تسلّطهم على كل ما تملك. فان الذين وهبوا هذه الارض لسالم الحلاقين هم من كبار

العشيرة فقد وهبوها اذن باسم العشيرة كلها ولا يسعنا ان نغيّر عوائد القضاة الذين قبلنا ثم التفت الى الحاضرين وقال: « انا من عندي ومن عند القضاة الذين قبلي ومن عند الرجال الذين مثلكم ان الوجوه الذين وهبوا قطعة الارض قد وهبوها باسم العشيرة كلها وهي الآن ملكهُ يتصرف بها كيفما يشاء ». وتمّ القضاء على هذا المنوال. ومن هذا يُستدَلّ ان القضاء في البادية نقلي سماعي

وكثيراً ما يحدث بعد الحكم اعتراضات ومجادلات غير ان القاضي يلبث بين تلك الاضطرابات ساكن الجأش هادئ البال وربما ادّت بهم حدّة الغيظ الى شطط الكلام ولكن لا ينتهي جدالهم الى الشتم والاهانة لانهم يكرمون بيت القاضي ويعدُّونهُ مقدّساً. وقد يطول الجدال بينهم والقاضي يتحمّل جفاهم بصبر عجيب فلا تخرج من فمهِ كلمة تشمئزّ منها الاذان وتنفر منها القلوب

ويا حبذا ما سمعناه من لطف كلامهم وحسن منطقهم في المجالس فقد يخال انهم من سحرة الالباب ولقد تبدو فصاحتهم ويظهر واسع معانيهم بعد ان يكون كل من الخصمين عرض دعواه وأيدها بالبراهين والادلّة فينتصب القاضي ويسرد دعواهما فيصحّح كلامهما ويزيد فيهِ ما يقوي الحجة ويحذف ما لا فائدة منهُ فيكون كلامهُ حينئذٍ اسطع من النور وامتن من الصخر. فهذا ما يسمّى في كلامهم « تعديل الحجة » من عدّل الحكم اي اقامهُ. هناك تظهر مخيلتهُ فيأتي بالتشابيه البديعة ويضرب الامثال ويورد الحكايات على السنة الحيوانات او الجمادات ممّا يطرب لهُ الحاضرون. قال احد الاعراب عن قاضٍ اعرابي وهو ابن قلاب: « لهُ كلام احلى من الشهد المصفّى »

٣ كيف يصير القضاء عند العرب

وكم من مرة تقع الخصومات بين العرب على ما يملكونهُ من الحيوانات والاراضي فيهيج هائجهم وينبض نابضهم فتستفزّهم نزوة الغضب فينتفضون ويرتجفون من الغيظ والحنق فينتضون السيوف ويطلقون الرصاص وتُهراق الدماء الكريمة لما طبعوا عليهِ من حدّة الاخلاق وحفظ الحقد والضغينة. والسرقة عندهم من الفضائل الرفيعة والكذب جارٍ بينهم مجرى العادة فيضربون بهِ المثل قائلين: « الكذب ملح الرجال وعيب على من يصدّق ». وكثيراً ما تسرق من مضاربهم فرس كريمة فيقتفون اثرها

الى ان يجدوها فيرفعون دعواهم الى القاضي لمعاقبة الجاني او يتخاصمون زماناً طويلاً على قطعة ارض وترتفع اصواتهم وشتائمهم ولا يجدون حلاً لمشكلاتهم الاَّ حكم القاضي

ولهم طريقتان لحسم الخلاف القائم بينهم فاما انهم يلتجئون الى القَسَم واما انهم يطلبون قضاء الحاكم البدوي. فالقسم او الحلف لمن ارهب الامور واقدسها فلا يقدمون عليهِ الاَّ مضطرين فان الاعرابي لسذاجة عقلهِ وتسلُّط الجهل عليهِ تملك قلبهُ الخيالات المخيفة والتصوُّرات المرعبة ولذلك يتجنبون الحلف ولو كانوا بهِ صادقين. ولقد رأيت من الاعراب عدداً وافراً يهابون اتخاذ المولى الكريم او احد اوليائهِ وانبيائهِ شاهداً على صحة ما يقولون وهم يُعدُّون من قطَّاع الطرق وسالبي المسافرين. وقد وقعت في البادية عند عرب الزايدة حادثةُ دم فطلب اقارب المائت حقَّهم من الدية اي ثمن الدم فابى القاتل ان يدَّ يد المساعدة لأسرة المقتول وانكر انهُ ذبحهُ. فطلبوا القَسَم على مزار النبي شُعَيب (١ قائلين: اذا اقسمتَ هناك برئتْ ذمتك من دم الرجل والاَّ فانا نترك لك مقرًّا ولا مسكناً ولا غنماً الاَّ نبيناه. فقال: هلمُّوا معي الى مزار النبي شعيب. وهذا المقام واقع في وادي شعيب على بعد ثلاث ساعات من نهر الاردن من جهة الشرق فركب خلق كثير وفرسان عديدون ليماينوا معاقبة النبي للمجرم ولمَّا افتوا الى بركة النبي شعيب واذا بالجاني قد اخذتهُ رهبة المزار فاصطكَّت رجلاه وسكنت حركاتهُ واخذ العرق البارد يسيل من اعضائهِ كلها ولم يزل الى البركة ليتم القسم المطلوب فدلَّت هيئتهُ وما صار اليهِ من الرجل على جرمهِ واثمهِ فقال العرب الحاضرون بعضهم لبعض: اما رأيتم قدرة النبي شعيب وسلطتهُ البيِّنة وجثوا هناك وتلوا عن ظاهر قلوبهم صلاةً وجيزة ثم عادوا الى بيوتهم والرهبة ممثلة على وجوههم. على ان البدو قد اخذوا من عهد قريب تمثلاً بمن يجاورهم من الفلاحين يشهدون الشهادة الزورية فيطلبون الرشوة القليلة ويبيعون دينهم بدنياهم وقد تعهَّدنا بأنظارنا على ابواب المحاكم في المدن الكبرى او في بعض الاقضية اناساً ساقهم الطمع وحبُّ المال الى الشهادة الكاذبة فيشهدون بما لم يروا ولم يسمعوا

والقَسَم عند العرب انواع مختلفة منهُ ما يسمونهُ القسم الجاري والصغير ومنهُ

(١ يزعم العرب ان شعيباً هو يثرو حمو موسى النبي وهم يكرمونهُ كنبي ايضاً

القسم الكبير نفي القسم الصغير يقوم الشيخ ويقف في وسط الخيمة ويقول: « اقسم عليك بالله وبصلاة محمد هل فعلتَ الامر الفلاني. فيقول: والله وصلاة محمد لم افعل ما تقول ». ولهم نوع آخر من الحلف يسمى حلف اليد. كنا يوماً في بيت من بيوت الشاط فذبحوا الذبيحة ووضعوها في صحن كبير يدعى مسفاً في منتصف البيت فقام وجوه العشيرة ونالوا نصيبهم من الطعام وبعد ان انتهوا الوليمة جلسوا يتجاذبون اطراف الحديث. وفيما هم يتكلمون بصوت مرتفع اذ ساد السكوت وانتصب رجل وضع يده على رأس رجل اعرابي وقال: « انا اشدك بالله يا تحوش وتنوش (١ بحلابات الحليب (٢ ونسافات العسيب (٣ وبالنساء. وما تجيب داخل عليك على المال والعيال من الحلال والاستحلال (٤ اليوم بين عينيك وباكر بين متنيك (٥ بنبيتة علي وبيتة عليك (٦ ان اطامتها تسرك وان خبيتها تضرك أما صار كذا وكذا؟ فيجيب: « إي بالله ورسوله صار كذا وكذا. او: لا بالله ما صار ذلك ».

ويقولون ايضاً في اقسامهم: « انا حاضر بحضارك وبوقد نارك أما صار كذا وكذا ». ومن حلفهم ما يسمى حلف العشبة: « بحق هذه العشبة الالوية والكاذب ما الله ذرية » (٧. ولهم قسم يدعى ببيت الشعر اي الخيمة: « وحق البيت وبيت الله وطعمة وزاده عند الله اما جرى كذا (٨ ».

ولهم قسم عظيم يسمى قسم النملة والشملة ودونكم وصفه: حينما يكون العرب

---

١) اي اناشدك الله بما تملك في هذه الدنيا فاذا صدقتَ في جوابك يبقى لك مالك واذا كذبت يذهب جميعه

٢) حلابات الحليب هي السماح والنياق والمعزى وغيرها من الحيوانات

٣) نسافات العسيب هي الخيل الكريمة. العسيب هو ذنب الفرس

٤) اى اني ارجوك بحق أسرتك واولادك ان لا تتكلم بالمش والمذيعة

٥) انك تراني اليوم وغدا ستحاني على المش واقف امام الديّان العادل وانت تقف ايضاً وتظهر امام الملي اذا اخفيت الحق سيرى الناس ذلك في يوم الحشر والنشر

٦) اي الشيء المكتوم والشيء الجلي

٧) ان العرب تأخذ عشبة من اعشاب الارض ويقسمون القسم المذكور

٨) يحلفون ببيت الله وبيت الشعر الذي يعتبر عند العرب مكرماً ومقدساً. ويقولون ان كل ما يقدم للضيوف هو مسطر عند الله

وكبارهم منتشين في شقّ الرجال (وهو محل الرجال في الخيمة) وطال الجدال بين فريقين على ارض او فرس وغيرهما يقوم امير البيت ويخرج بمجلسه خارج الخيمة ثم ينتضي سيفاً باتراً ويخطّ به دائرة كبيرة ويضع في وسط الدائرة حبّة حنطة وفلة. والحنطة تدلّ عند العرب على اكرم ما خلق الله تعالى والفلة تمثل الحكمة والفطنة والادراك. ويمدّون السيف في منتصف الدائرة فيدخل المتهم في وسطها ويضع يده على نصاب السيف ويقسم قائلاً: « والله العظيم والسيف الكريم ما فعلتُ الشر ولا سرقتُ ولا قتلت الخ ». وقبل ان يدخل في وسط الدائرة ينزعون عنهُ كل اسلحته وكثيراً ما يرجف رعدةً وهيبةً وربما رجع عن الحلف واقرّ بما فعل. وحضرنا قسم الشلة والفلة في مضارب الاعراب فمنهم من يضع عمامة بيضاء في مكان الحنطة تدلُّ على حكمة سليمان بن داود كما يقولون. واذا دخل المتهم في الدائرة يتغير لون وجهه وترتخي مفاصلهُ وتميد يداه ورجلاه وتشخص عيناه من الرعب والذعر

ومن عوائدهم ما يماثل عوائد اهل الاجيال الوسطى. ويدعى عندهم بَلْعاً وهو من بَلَعَ الشيءَ اي نزل الشيءُ في حلقومه الى جوفه

وهو من انواع الامتحانات المتعة عند الفرنج « ordalies » وذلك ان المجرم يبتلع الحديد المحتدم فان كان بريئاً لا ينالهُ شيءٌ من الالم والوجع وان كان مجرماً تعذب بالعذابات التي لا تطاق ولا تحتمل. ومنهم من يشرب السمّ القاتل ومنهم من ينزل في المياه المتلاة على النيران ليظهر نقاوتهُ ويزكي نفسه

والحلف بالمقامات يُعدّ عندهم من الاقسام العظمى وربما اقسم البدوي بالله مراراً عديدة وابى ان يقسم بالاولياء والمزارات المكرّسة. ومن مزارات شرقي الاردن مزار النبي شعيب وعرشع والشيخ عبدالله والشيخ خُنَيْزير ومزار ابي عبيدة وام العيون وسنذكر موقعها واحاديثها في مقالة اخرى نبحث بها عن ديانة العرب ومزاراتهم وخرافاتهم وطالما سمعنا من الاعراب ان الذين اقسموا قسماً كاذباً اصابهم ضربات هائلة تقشعرُّ لذكرها الابدان فمنهم من جمدت دماؤه ومنهم من خسر مالهُ وأولاده ومنهم من لم يبقَ لهُ اثر بعد الاثم ومنهم من خرج يستهزئ بالاولياء والمقامات فلم ينلْ شيئاً ولم تنزل به النكبات

غير ان العرب يدّعون القسم لرهبته ويلتجئون غالب الاحيان الى القاضي البدوي

فما اجمل بيت الشعر حينما يُزيَّن بانواع الاثاث ويفرش بابدع الفرش ويُعلق على اسواره السلاح اللامع كالسيوف والبنادق. فما يكاد يجلس الوجوه حتى يُسمَع صوت المهباج (١ يدقّ القهوة ولله قول ابي الكبابر:

البنّ بالميوان تسمع ضيله عزّام لوجوه المسابير زافات

والعرب مولعون بشرب القهوة المُرَّة ومن عوائدهم الطواف على الحضور بالقهوة دفعات متوالية وهم لا يسكبون في الفنجان الّا ما يكفي ثلاث جُرَع. وبعد شربهم للقهوة يقوم احد المتخاصمين ويجلس في وسط الخيمة بين الحاضرين ويلتفت الى القاضي ويقول وهو عندهم بمثابة استدعاء. ويفتتحون به الدعوى: «ويش بك يا قاضينا يا الّي بحقك ترضينا جنتك هدي ومشيا قدي وافلح على من صلّى على النبي (والكل يقولون الصلاة والسلام عليه) حظّي وحظّك يدخلان على اربعة واربعين نبي من القوط والنوط والحق الردي وانا داخل على المال والعيال من شيْ مبيّن عليك وعليّ غبي وانا حاطها بعيرفك السود وربعك القعود وبالامرأة وما تجيب وحلّابات الحليب ونسّافات العسيب». وقد تركنا كلامهم على نطقه ولم نُرد ان نبدل منهُ حرفاً ليقف القراء الكرام على الفاظهم ولغتهم المتّعة في البادية. وهذا كلامهم في مقام التعظيم والتفخيم يأتون بهِ مسجّعاً ويذكر المدّعي ما جرى لهُ بصوت جهور بحيث يسمعهُ الحضور من كل اطراف الخيمة ويرود البراهين في ذلك الى ان ينتهي ويعود الى مقامه الاول. فيقوم المدّعى عليهِ ويجلس في وسط المجلس ويكرر القول نفسهُ: «ويش بك يا قاضينا الخ» ويفصح عن ادلّته ولا يحاجد يعارضه في شيْ. والقاضي بين كل ذلك صامت لا يبدي كلمة وفي آخر كل ذلك يقول: «افاهوا واصلحوا خير لكم» اي اصلحوا ذات البين خير لكم. واذا ابوا الّا اظهار الحق يقول لهم: قدموا الزقة

(له تابع)

(١ المهباج هو نوع من الهاون الخشبي من شجر البطم الاسود ويزينونهُ بالمسابير الفضية او الذهبية والمهباج كلما كان كبيراً دلّ على كرم الشيخ

اثر عربي بخصوص الرهبانيّة اليسوعيّة

توطئة

اشار حضرة الاب لويس رتزفال في مقالته المنونة « المئة الاولى لانبعاث الرهبانية اليسوعية» الى البراءة البابويّة التي اوّلها (Apostolicum) اصدرها قداسة الحبر الاعظم اقليمس (او اكليمنضوس) الثالث عشر سنة ١٧٦٥ وجدّد فيها تثبيت الرهبانية اليسوعية ومدح قوانينها واعمالها المبرورة وفنّد اكاذيب اعدائها. وما كنّا نعلم انّ هذا الاثر قد طُبع في ذاك الوقت في مطبعة مديسيس سرًّا. وقد وقفنا قبل اربع سنوات على نسخة من تلك البراءة في مكتبة دير الشير لحضرة آباء الرهبانية البابليّة الحاليّة فتلطّف احدهم ونسخ لنا صورة تلك البراءة فاحببنا نشرها بحرفها دون اصلاح تعبيرها شاكرين لحضرة الناسخ وذلك بمناسبة المئة الاولى لانبعاث رهبانية يسوع وفيها احسن ردود على التهم التي اشاعها في ذاك الوقت اعداء الكنيسة في حقها وذلك ثماني سنوات فقط قبل الغائها. على انّهم لم يزالوا يفترون سهامهم فيها ليجدروا بسقوطها مجالاً لمحاربة الدين ففازوا ببرغوثهم لكنّ الله نصر الحق اخيرًا وازهق الباطل ل. ش

صورة منشور الحبر الاعظم اكليمنضوس الثالث عشر
الذي به يجدّد حديثًا تثبيت كتاب
قوانين الرهبنة اليسوعية
اكليمنضوس الاسقف عبد عبيد الله لذكر الامر محمدًا

ان الوظيفة الرسولية الممنوحة من ربنا يسوع المسيح القديس بطرس الرسول وخليفته الحبر الروماني ليرعى شعب الله ليس من الممكن ان تكون محدودة ام ممنوعة بعرَض ما من عوارض الاماكن والازمنة او بنظر ما الى الامور العالميّة او بسبب آخر من الاسباب. فلذلك يضطرّ الحبر الروماني ان يجتهد اجتهادًا كليًّا ويعتني في جميع اللوازم الحادثة في بيعة الله من غير ان يترك شيئًا او يتغافل عن شيء ممّا يخص وظيفته. فهو من وظيفته على الخصوص ان يحامي عن الرهبنات القانونية المثبتة من الكرسي الرسولي وان يشجع ويقوي تلك الانفس الباسلة التقية التي نذرت في تلك الرهبنات النذور الاحتفالية والمجتهدة بغاية الاجتهاد في تاييد الايمان

الكاثوليكي وانتشاره (١ وهو ايضاً من وظيفته ان يثبت ويقوي الضعفاء السقيمين وان يعزي الحزانى المظلومين وخاصة ان يصدّ عن الكنيسة المستودعة لامانته وحراسته جميع الشكوك الثامية يوماً فيوماً لهلاك الانفس

ان كتاب قوانين الرهبنة اليسوعية (٢ الذي هو تأليف رجل يُحتذى من الكنيسة الجامعة ما بين القديسين المفحوص عنهُ جيداً والمثبت مرّات عديدة من سلفائنا الصالح ذكرهم اعني بهم بولس الثالث وجوليوس الثالث وبولس الرابع وغريغوريوس الثالث عشر وغريغوريوس الرابع عشر وبولس الخامس فهؤلاء الاحبار عينهم وغيرهم من سلفائنا الذين هم بالعدد تسعة عشر قد شرفوا كتاب القوانين (٢ وحاموا عنهُ بنوع خصوصي والاساقفة قد مدحوهُ كانهُ مشير جداً ومفيد في الغاية لانهُ ذو حث جزيل لحب خدمة الله وحده وخلاص الانفس. ثم الملوك الاكثر قدرة والاوفر تقوى مع اعظم الامراء المسيحيين قد وضعوا هذا الكتاب (٣ تحت كنف حمايتهم الملوكية. ثمّ انهُ من ممارسة قوانين هذا الكتاب تسعة انفار حصلوا على القداسة فتحروت اسمائهم في مدوج القديسين. ومن هؤلاء ثلثةٌ نالوا اكليل الظفر بالاستشهاد المجيد. وقد مدح هذا الكتاب المذكور (٣ كثيرون ايضاً مشتهرون بالقداسة ومستعون بالمجد الابدي في السماء كما هو معلوم عندنا. اما الكنيسة الجامعة فمن مدة مئتي سنة وبُنيّة وصانتهُ في حضنها مسلمةً لتابعيه جزء الخدمة المقدسة الاخص للفائدة العظيمة للانفس وثبتتهُ اخيراً في المجمع التريدنتيني المقدس ودعتهُ الكتاب التقي (٤

فهذا الكتاب (٢ نفسهُ قد وجد في هذا الزمان اناس الذين اما بتناسيهم السيئة واما في مذاكراتهم او في كتبهم المطبوعة لم يخشوا من ان يدعوهُ كتاباً ملحداً منافقاً مفترين عليهِ ويشينوهُ بالاهانة والاستهزاء. وقد اتصلوا الى هذا الحد حتى انهم اخذوا يبثون بكل حيلة من حيل رأيهم المسموم وينشرونهُ من بلد الى بلد في كل

---

١) وفي الاصل زيادة : « ولحراسة حقل الربّ »

٢) الاصل اللاتيني يتناول الرهبانيّة اليسوعيّة كلها ليس فقط كتاب قوانينها « Institutum Societatis Jesu » فوّهم المعرّب وترجم « قوانين الرهبنة » بالغلط فجاءت الترجمة غلطاً ٣) والصواب : « هذه الرهبنة »

٤) الصواب : « ودعاها المجمع رهبانيّة تقويّة »

الاماكن ولم يبرحوا حتى الان ايضاً يسقون هذا السم بخداع للعقول الغير حريصة ليشربوه اياهم وهكذا يجتذبونهم الى رايهم الفسود. فيالهُ من عار على الكنيسة ما اشنعهُ وهو كانها انخدعت بهذا القدار حتى انها بمجمع احتفالي دعت تقياً ومرضياً لله تعالى ما هو ملحد ومنافق. ونقدر على ان نقول ايضاً ان خداعها هذا هو اشنع ايضاً حيث انها حملت هذا العار والامر القبيح في حضنها مدة مئتي سنة واكثر لهلاك الانفس

فلانَّ العدل يضطرُّنا ذمَّةً ان نحكم على كل احد بالانصاف ونحفظ حقوقهُ بقوة. وعنايتنا الرسولية نحو الكنيسة لا تسمح ان نؤخر الدواء لهذا الداء العظيم الذي بمقدار ما نتغافل عن علاجهِ بمقدار ذلك يزداد يوماً فيوماً ويتقوى بالاكثر. فلذلك لكي نلتئم للكنيسة عروسة المسيح المستودعة لنا من الله ونرفع عن الكرسي الرسولي هذا العار الغير المحتمل ولكي نبكم سلطاننا الرسولي هذه الاصوات الظالمة المنافقة المسموعة في كل موضع ضد كل عدل وناموس لخداع وهلاك الانفس ولكي نثبت بهذا السلطان غيرة وهيبة الاكليريكيين القانونيين اليسوعيين اوفر تثبيتاً كما يقتضي العدل والصواب ونعزيهم بنوع ما في هذا الزمان المظلومين فيه بغاية الظلم ولكي نتمم اخيراً رغبة اخوتنا الاساقفة الجزيلي الاحترام الذين كتبوا لنا من سائر البلدان الكاثوليكيين ملتمسين منا. ماعدة هذه الرهبنة عينها التماساً شديداً محققاً كل واحد منهم انهُ في ابرشيته يجتني من الرهبنة المذكورة اعظم الفوائد وافرها

فلاجل هذا كلهِ نحن من تلقاء ذاتنا وعلمنا الاكيد وبسلطاننا الرسولي مقتفين آثار سلفائنا الاحبار الرومانيين جميعهم في هذا المنشور الخلد المديم التغير نقول ونعلن نظير ما قالهُ اولئك واعلنوهُ ان كتاب(١ قوانين الرهبنة اليسوعية هو مملوء جداً من روح التقوى والقداسة وذلك نظراً الى الغاية المقصودة منها على الخصوص التي هي حماية الايمان الكاثوليكي وانتشارهُ ونظراً الى الوسائط المستعملة منها لبلوغ الغاية المذكورة كما اختبرنا ذلك الى الآن. والحال اننا رأينا الى يومنا هذا يتأيد من هذه الرهبنة جنودٌ كثيرون متسامين عدداً ومجاهدين عن الايمان الارثوذكسي وواعظين بكلام الله

(١ كما سبق لفظة Institutum ليس معناها هنا كتاب القوانين ولكن الجماعة الرهبانيَّة الجارية على رسومه

الذين بشجاعة غير متزعزعة قد خاطروا بانفسهم مخاطرات لا يُحصى عددها برًّا وبحرًا ليبيدوا الامم والبرابرة بمصباح الايمان الانجيلي. ورأينا ايضاً ان جميع الذين يتبعون قوانين هذه الرهبنة الحميدة يجتهدون اجتهاداً كلياً. فالبعض في تربية الاحداث بالديانة المسيحية والعلوم المختلفة والبعض في ارشاد الانفس بالرياضات المقدسة والبعض في خدمة الاسرار الكنائسية لاسيما الاعتراف والافخارستيا في حث المؤمنين على تناول هذين السرَّين بتكاثر والبعض في ان يقيموا اهل القرى بخبز كلمة الله ولذلك نحن نثبت ايضاً كتاب (١ قوانين الرهبنة اليسوعية القائمة بالعناية الالهية لاجل تتميم هذه الاشياء العظيمة المتجرة جداً وبسلطاننا الرسولي نثبت المناشير التي بها سلفاؤنا ثبتوها. فنعلن ان النذور التي بها الاكليريكيون القانونيون من اهل هذه الرهبنة يخصصون ذواتهم لله حسب قوانينهم هي مرضية لله تعالى ومقبولة منهُ

ونثبت ايضاً ونمدح جداً كتاب رياضات القديس اغناطيوس تلك الرياضات التي يتروَّض بها تحت ارشاد الرهبنة اليسوعية المؤمنون حينما يختلون عن العالم مدة ايام قليلة ليتأملوا تاملاً بليغاً في خلاص النفس فقط. فنعترف معترفين انها هي مفيدة جداً لاصلاح السيرة ولحث المسيحيين الى التقوى وحفظها

ونثبت ايضاً الاخويات المؤسسة في اديرتهم ليس تلك المختصة باهل المدارس فقط بل للجميع سواء كانت لاهل المدارس وحدهم ام للعلمانيين وحدهم ام للعلمانيين واهل المدارس معاً او كانت تلك الاخويات المقدسة باسم العذراء المجيدة الكلية القداسة او بغير اسمها ونمدح افعالها الصالحة التي يمارسها بشوها بنشاط محثين ذواتهم جداً الى تلك العبادة الفريدة نحو والدة الله الدائمة بتوليتها والكلية الطوبى التي يتمسك بها الاخوة وينحونها في تلك الاخوية. ولذلك نثبت بسلطاننا الرسولي المناشير التي بها سلفاؤنا الصالح ذكرهم غريغوريوس الثالث عشر وسيستوس الخامس وغريغوريوس الخامس عشر وبنادكتوس الرابع عشر ثبتوا هذه الاخويات وجميع المناشير الاخر المبرزة من الاحبار الرومانيين سلفائنا لتثبيت ومدح جميع الوظائف التي تمارسها الرهبنة المذكورة. فنريد ان كل واحد من هذه المناشير يُحسب كانهُ محرَّر في منشورنا

---

(١) راجع ما قلناه سابقاً عن وَسْم المرتب

هذا عنه . ونزيد ايضاً ان المناشير المذكورة تكون مثبتة بالسلطان الممنوح لنا من الله وبكل قوة تثبيتنا الرسولي وان كان يحتاج فنوصي ونأمر بانها تُحسب معززة منّا كأننا حرّرناها جديداً . فلا يتجاسر اذاً احد على ان يثلم او يخالف امر منشور تثبيتنا هذا والّا فليعلم انهُ سيحلّ عليهِ غضب الله القادر على كل شيء ورجز رسولَيهِ الطوباويين بطرس وبولس

حُرر في رومية عند كنيسة القديسة مريم المعروفة بالكبرى في ٣ كانون الثاني سنة ١٧٦٥ للتجسد الالهي وهي السنة السابعة من حبريتنا

طُبع بمطبعة اللاك روتيلي بايطاليا مديسيس

المشاعر في الحيوانات

نظرُ للاب اسكندر طوران اليسوعي

قد منح الله الانسان خمس حواسٍ توسط بينهُ وبين عالم الكون . فانها لعمري هبة عظيمة اجاد بها الخالق على مخلوقهِ كفى بياناً لذلك اعتبار الأجهزة التي بواسطتها ينجز افعال تلك الحواسّ كالعين والاذن واللسان فانّ كلّ من يمعن فيها النظر لا يتمالك عن الاقرار بفضل خالقها ونبذ رأي الماديين الذين لا يستطيعون ان يعللوا تلك العجائب الّا بنسبتها الى قوّة عمياء يدعونها الطبيعة او الصدفة

وربَّ سائلٍ يسأل أتوجد هذه المشاعر الخمسة في الحيوانات كما توجد في الانسان ؟ او تكون في كلّ ضروب الحيوان ذوات الاربع والزحّافات والطيور والحشرات ؟ الجواب على هذا السؤال قريب لكلّ من خالط الحيوانات مخالطةً ما . فانّ اختبارنا الشخصي يثبت لنا وجود الحواسّ في البهائم كما في الانسان فانّ الفرس مثلاً يرى ويسمع ويشمّ الروائح ويلتذّ بمؤانسة صاحبهِ اذا ملّتهُ بيدهِ ويتألّم بضربة مهمازهِ اذا ركّلَ بهِ صدرهُ كما انهُ يستطعم في مخلاتهِ القوت الذي يفضلهُ على سواهُ . فلا ينقصهُ اذن شيء من حواسّ الانسان الخمس بتمامها

وما يصدق في الفرس يصحّ في ايّ حيوان كان حتى اصغر الهوامّ . هذه حشرة

هذا عنه . ونزيد ايضاً ان المناشير المذكورة تكون مثبتة بالسلطان الممنوح لنا من الله وبكل قوة تثبيتنا الرسولي وان كان يحتاج فنوصي ونأمر بانها تُحسب معززة منّا كأننا حرّرناها جديداً . فلا يتجاسر اذاً احد على ان يثلم او يخالف امر منشور تثبيتنا هذا والّا فليعلم انهُ سيحلّ عليهِ غضب الله القادر على كل شيء ورجز رسولَيهِ الطوباويين بطرس وبولس

حُرر في رومية عند كنيسة القديسة مريم المعروفة بالكبرى في ٣ كانون الثاني سنة ١٧٦٥ للتجسد الالهي وهي السنة السابعة من حبريتنا

طُبع بمطبعة اللاك روتيلي بايطاليا مديسيس

المشاعر في الحيوانات

نظرُ للاب اسكندر طوران اليسوعي

قد منح الله الانسان خمس حواسٍ توسط بينهُ وبين عالم الكون . فانها لعمري هبة عظيمة اجاد بها الخالق على مخلوقهِ كفى بياناً لذلك اعتبار الأجهزة التي بواسطتها ينجز افعال تلك الحواسّ كالعين والاذن واللسان فانّ كلّ من يمعن فيها النظر لا يتمالك عن الاقرار بفضل خالقها ونبذ رأي الماديين الذين لا يستطيعون ان يعللوا تلك العجائب الّا بنسبتها الى قوّة عمياء يدعونها الطبيعة او الصدفة

وربَّ سائلٍ يسأل أتوجد هذه المشاعر الخمسة في الحيوانات كما توجد في الانسان ؟ او تكون في كلّ ضروب الحيوان ذوات الاربع والزحّافات والطيور والحشرات ؟ الجواب على هذا السؤال قريب لكلّ من خالط الحيوانات مخالطةً ما . فانّ اختبارنا الشخصي يثبت لنا وجود الحواسّ في البهائم كما في الانسان فانّ الفرس مثلاً يرى ويسمع ويشمّ الروائح ويلتذّ بمؤانسة صاحبهِ اذا ملّتهُ بيدهِ ويتألّم بضربة مهمازهِ اذا ركّلَ بهِ صدرهُ كما انهُ يستطعم في مخلاتهِ القوت الذي يفضلهُ على سواهُ . فلا ينقصهُ اذن شيء من حواسّ الانسان الخمس بتمامها

وما يصدق في الفرس يصحّ في ايّ حيوان كان حتى اصغر الهوامّ . هذه حشرة

وتستتر تحت الحجارة فاذا زالت عنها سترها و مرضتها للنور حاولت ان تغوز في الارض او تختفي تحت الاوراق . فاذا انفذت في بدنها دبوساً تلمأت واضطربت وكل ذلك دليل على الحس والشعور . وهذه ذبابة يفتات صغارها من السماد فاذا ألقي كمية جديدة منهُ تطايرت من ساعتها اليهِ حتى من امكنة بعيدة . فتلك بينة على حاسة شمها وان وجدت الذبابة في ذاك السماد ما تلذُّها راتحتهُ على خلاف مشاعرنا — وهذه النحلة تجني من الزهور ما يوافقها لعملها وتمتص بينها ما تجد فيهِ حلاوة لاستحضار عسلها . فلا شكَّ انَّ لها ذوقاً تستطعم بهِ قوتها . ويزعم المربون للنحل انَّ الحشرم المنفصل عن الخلية يحطّ في مكان معلوم اذا سمعوهُ اصواتاً مزعجة توهمهُ بصوت الرعد او الصاعقة وهذا الزعم يثبت انَّ للحشرات حاسة السمع

ومن ثمَّ يجوز لنا القول اجمالاً بانَّ للحيوانات حواسَّ كما للانسان وان لم نستطع ان نثبت الامر الكل صنفٍ منها وتميز اجهزة تلك الحواسّ في الحشرات ودقائق الحيوان

وكأني بالقارئ يوقفني هنا ليُلقي عليَّ سؤالين : الاوّل أليس لبعض الحيوان كذوات الفقرات مثلاً حواسّ افضل وادقّ من حواسّ الانسان ؟ والثاني اليس لبعض الحيوان مشاعر غريزيَّة خُصَّ بها دون الانسان تفيدهُ للوغ غايتهِ وتغنيهِ نوعاً عن الفوائد التي يحصل عليها الانسان بقوى عقلهِ ؟ فان تحقَّق الامران اعني وجود مشاعر في الحيوان افضل واكمل من الانسان ثمَّ وجود حواسّ لم يُعطَها الانسان سقط مذهب النشوء والتحوُّل اذ يزعم الدروينيُّون انَّ طبقات الحيوان العليا ورثت من الطبقات السفلى خواصها فبلغت كمالها بتحسُّن الاجناس وترقّي سلسلة الاحياء

أ (الجواب على السؤال الاوّل) لا بُدَّ من القول بانَّ الحواسّ في بعض الحيوانات تفوق حواسّ البشر بكمالها ودقَّتها — لنا على ذلك ادلَّة لا تُحصى . انظر الكلب مثلاً فانهُ بحاسَّة شمّهِ يكتشف ما لا يكتشفهُ الانسان فاذا سار معهُ للصيد استروح الفريسة عن بُعد واذا نُصب للحراسة افرز راتحة صاحبهِ من راتحة الغريب وان اتخذهُ صاحبهُ لجمع الكمأة نبشها واثارها من قاب الارض . فلا احد ينكر انَّ مشعر الشمّ في الكلب ادقّ وافضل منهُ في الانسان ولو كان الانسان يبلغ في ذلك مبلغ الكلب لاستغنى عنهُ في الحراسة والصيد

وهذه حاسة الشم الفاضلة تجدها في كثير من الحيوانات في الثعالب مثلاً وبنات آوى والضباع فانَّ هذه الحيوانات تشمُّ عن بُعد رائحة الانسان فتهرب منهُ واذا اراد الانسان ان ينصب لها اشراكاً ليصيدها او يسمّها يجب عليهِ أن لا يمسّ بيديهِ تلك الطعوم المسمومة والاشراك المنصوبة لانَّ الحيوانات اذا شمَّت رائحة يد الانسان نفرت منها

وكذلك جوارح الطيور كالنسور والعقبان فانَّها تشمُّ رائحة الجثث الميتة من مسافات بعيدة فتجتمع وتحوم فوقها

ومما قلناهُ عن حاسة الشم يصحُّ ايضاً في حاسة البصر. فانَّ الاختبار اليومي يثبت فضل بصر الحيوان على بصر الانسان. ويدلُّ على ذلك عدَّة امثال عند العرب كقولهم « ابصر من عُقاب » و « ابصر من فرس في بهماء » ويضرب الفرنج المثل في بصر الفهد (lynx) فيقولون: « لفلان عيون كعيون الفهد » لزعمهم قديماً بانَّ الفهد يرى من وراء الحيطان

امَّا العقبان والنسور فانك تراها في اعالي الجوّ ترصد السهول والاودية حتى اذا عاينت في اعماقها او بين دغلها حيواناً يؤكل كأرنب او فرّوج ممَّا لا يراهُ الانسان الَّا عن كثب انقضَّت عليهِ كالبرق فخطفتهُ لا محالة

وكثير من الطيور التي يبتغي الانسان صيدها تنجو منهُ بدقَّة بصرها فتفرُّ منهُ ولو تستَّر وراء سياج او في فترة كالوز البرّيّ والبط والحجل

وخلاصة الكلام لا بدَّ من الاقرار بانَّ حيوانات كثيرة تفضل الانسان بكمال حواسّها. وان امكن الانسان باختراع ادوات شتَّى كالنظَّارات والمجاهر ان يسدَّ ذلك الخلل الَّا انهُ لم ينل ذلك من الطبيعة كالحيوانات وهذا ما اوردنا بيانهُ

٢ (الجواب على السؤال الثاني) اعني أحظيت الحيوانات ببعض الحواس التي لم يناها الانسان ؟ نعم ودونك البراهين على قولنا:

من المعلوم انَّ الانسان لا يهتدي الى المكان الَّا بالاختبار المتوالي. امَّا الحيوان فقد خُصَّ بتمييز الامكنة. هذا الحمام الزاجل تراهُ يرحل الى بلاد بعيدة ويعود الى وكرهِ لا يشذُّ عنهُ مطلقاً. هذه النحلة تخرج من خليَّتها لتجني الزهور وربَّما ابتعدت عنها الى مسافة خمسة كيلومترات وهي لا تتيهُ عنها. ومثلها طيور وهوامّ عديدة مهما نزحت عن

عشوشها تعرد اليها ولا تغلط البتة في معرفة منافذها الصغيرة. كذلك السمانى والسارى والقطاة وكلها تعشش في وسط القمح في سهول تغطيها الفلات النامية حيث لا يوجد دليل تستدلُّ به على مكان عشها. وكذا الزنبور وهوام عديدة تعشش في بطن الارض بين الدغل والاشواك المشتبكة بعضها او في براري واسعة لا شيء يميز اقسامها. ومع كلّ ذلك لا تجد طائرًا واحدًا او زنبورًا او هامة تضلّ عن اوكارها بل تنقل طريقها راجعةً بكل ضبط وتدقيق. فليحشري ليست هذه حاسّة نالها الحيوان من الطبيعة دون الانسان يمكننا ان ندعوها بشعر الامكنة (sens topographique)

انظر يا رعاك الله كيف الانسان اذا خرج قليلًا عن المسالك المطروقة لا يعود يستدلّ على طريقه فيحتاج الى استشارة معارفه الجغرافيّة بان ينظر الى الافق والى اربعة خوافق السماء ومشرق الشمس ومغربها او الى بعض النجوم ليلًا وكل ذلك مرجعهُ الى العقل حتى انهُ لو حُجب عنهُ السماء بالغيوم والتقى في غابة واسعة تاه لا محالة

امّا الطيور التي لا علم لها بالفلك ولا تعلم غير طريق الهواء حيث لا شيء ينبّه ذاكرتها فانها لا تنقل البتّة عن مآويها مهما اختلفت عليها احوال الجوّ. فكيف يا ترى تعرف طريق عشوشها؟ اليس هنا سرّ عجيب؟

أُنقل الحمام الزاجل من بيروت حيث بُني برجهُ الى بغداد او الى اي جهة شئت من الشمال والجنوب من الغرب او الشرق وضعهُ في قفص او في سلّ وانقلهُ نهارًا او ليلًا ثمّ اطلق سراحهُ فتراهُ يحلّق في الجوّ فيحوم قليلًا ليستروح طريقهُ الجويّة ولا يلبث ان يتوجّه توًّا الى حيث برجهُ فيبلغهُ بالخطّ المستقيم ويحط فيهِ بلا شذوذ

وكذلك يقال عن حيوانات أخرى داجنة كالكلب والهرّ وغيرهما قيل انها تُنقل بعيدًا عن مساكنها التي أَلفتها في كيس او صندوق ثم تُترك الى سبيلها فتنقل راجعةً الى بيوتها من تلقاء ذاتها سائرة في طريق لم تعهدها قط

وقد اخبر المسيو فابر العلّامة الذي ذكرنا مرارًا دروسهُ عن الحشرات انهُ نقل يومًا مبيتهُ الى مسافة نحو ١٢ كيلومترًا وكان عندهُ قطٌّ هرم جعلهُ في صندوق مع اثاث البيت فلما أُخرج من صندوقهِ في المكان الجديد أفلت منهم ورجع الى منزلهِ القديم في طرق لم يسلكها سابقًا

وكذلك روى المسيو فابر عينهُ انَّ نوعًا من الحشرات الشبيهة بالنحل يدعونها

خاليكودم (chalicodomes) جُعلت في عُلَب ونُقلت الى مسافات بعيدة عن امشاشها فما أُطلقت لها الحريّة الّا وانفتلت راجعةً الى تلك الامشاش

فكيف يا تُرى يمكننا ان نعلّل هذه الاعمال ؟ أننسبها الى المشاعر الخمسة التي في الانسان كالبصر والشمّ والسمع ؟ كلّا لانّ هذه تعليلات لا تفي بالمرام ثمّ لا يجوز نسبة تلك الاعمال الى الذاكرة لأنّ الذاكرة تستند الى شهادة الحواسّ وفي ما رويناهُ لم تتوسّط الحواسّ لانّ الحيوانات التي ذكرناها كانت مودعة في صناديق مظلمة . فلا بُدّ اذن لشرح هذه الاسرار الطبيعية من تعليلها بسرّ آخر فنقول انّ للحيوان شعوراً خاصًّا يُعدمهُ المركّبُ البشري حتى أن درورين لدى استنباطهِ هذه الامور كان يبقى مرتبكاً في تعليلها فيقول لعلّ الحيوان قد خُصّ بشعور مغناطيسيّ يرشدهُ في عمله . روى المسيو فابر رأي درورين وزاد عليهِ قولهُ : « انّ البحريّ اذا تاه في عُرض البحار يسترشد بابرتهِ المغناطيسيّة التي تتحرّك بقوّة المغناطيس الارضيّ . فان صحّ قول درورين كان الحيوان ابرةً مغناطيسيّة حيّة وخصّتهُ الطبيعة الغريزيّة بما اكتشفهُ الانسان بقوّة عقلهِ »

ثمّ اردف المسيو فابر : « وعلى كلّ حال يجب علينا الاقرار بان الحيوان أُعطي شعوراً خاصًّا غريباً لا نستطيع ان نتحسّس كنههُ فهذا هو الشعر الذي يرشد الحمام الزاجل والخطّاف والقطّ وهامّة الخاليكودوم وغيرها ايضاً في سيرها وسط بلاد مجهولة منها . أهذه الحاسّة مغناطيسيّة او لا لستُ ادري ولا يمكنني القطع بهِ . ولاي سبب لم يُعطَ الانسان حاسّة كهذه ؟ فان كانت طبقات الحيوان باجمعها دون استثناء الانسان صادرةً عن قالب واحد اي الخليّة الاصليّة كما يزعمون وان ثبت قولهم بان تلك الخليّة بتحوّلاتها المختلفة مدى الدهور لم تزل في تحسّن دائم بصيانة افضل العناصر ونفي أدونها فكيف يا تُرى قد خُصّت حيوانات ذليلة بشعر جليل كالذي وصفناهُ ولم نجد لذلك الشعر من اثر في الانسان وهو على زعمهم نتيجة تلك التحوّلات وبلغ ذروتها . فبئس ما فعل اسلافنا الاوّلون اذ اهملوا هذه الخلقة الشريفة التي هي افضل من قُوّة في اسفل ظهرنا او من بعض شعرات على شفاهنا . فان كانت الوراثة ضائعة افليس الاحرى ان يقال انّهُ لا يوجد قرابة بين الحيوان غير الناطق والانسان الناطق ! » نعم القول الذي افحم بهِ المسيو فابر انصار درورين

نعم انَّ ذاك المشعر لعجيب في الحيوان ويكاد الانسان يحسدهُ عليهِ بل لا يجد طريقةً مقنعة لتعليلهِ. وقد ردَّ المسيو فابر على الذين نسبوا الامر الى ذاكرة الطائر او الحيوان بقولهِ: « لو فعل الطائر فعلهُ هذا من تلقاء ذاتهِ ومثلهُ الحيوانات السابق ذكرها لَقلنا انهُ رجع أدراجهُ وتذكَّر الطريق التي جرى فيها ولكن كيف يقال انَّ الحمام الزاجل المودع في سلَّ منطَّى والمنقول الى بلاد بعيدة يذكر طريقاً لم يَرَهـا مطلقاً ؟ واين توسُّطهُ بذاكرتهِ اذا حانَ في الجوّ وتبيَّن جهة بُرجهِ ثمَّ اندفع اليهـا لا يلوي بُنيَّةً او يسرةً فيقطع في الهواء مسافات لم يعهدها قبلاً ؟. فالتعليل بالذاكرة لا يفيد هنا شيئاً . وقُل كذلك عن الحشرات المتوسطة الاجنحة المودعة في عُلَب والمنقولة الى امكنة نازحة. فيجب القول اذن بان هذه الحيوانات قد طُبعت على شعور خاصّ بالامكنة لا نستطيع ان نثبت كينيَّتهُ

وقد اراد المسيو فابر ان يعدّد الامتحانات لعلَّهُ يقف على جواب مقنع في هذا الصدد. فرصد حشرةً تُدعى بمبكس (bembex) تنسل نسلهـا في بطن الارض فهذه الحشرة تُطعم صغارها ذباباً فتضطرّ الى الخروج من وكرها مرارًا في النهـار لتصطاد قوت صغارها وهي كلَّما خرجت تستر باب وكرها بشيء من التراب او الرمل تردُّهما على مدخلهِ بقوائمها بحيث لم يبقَ اثرٌ من الخارج لمنفذ وكرها. ومع ذلك تراها اذا رجعت من صيدها لا تُخطئ باب الوكر ذرَّةً بل تحطّ عليهِ بكل دقَّة وتزيل ما وضعتهُ من التراب او الرمل فتدخل الى صغارها

وقد سعى المسيو فابر بان يخدع تلك الحشرة فتارةً كان يجعل فوق منفذ الوكر بلاطاً كبيرًا وتارة كان يذرّ على ذاك المنفذ وجوارهِ طبقة من زبل الخيل. وحيناً كان يفرش فوقهُ اعشاباً يابسةً بعد ان يغمسها في روائح عطريَّة شديدة او في الاثير. ومرَّة اخرى وضعَ فوق ذاك الوكر ومنفذهِ حصًى مختلف الحجم والالوان على شبه الفسيفساء. لعلَّهُ بكل ذلك يحيّر تلك الحشرة ويُذهلها عن وكرها. ولكن خابت آمالهُ فكان المسيو فابر يلحظ انَّ الحشرة المذكورة عند رجوعها من الصيد لا تحيد البتَّة عن وكرها وتزيل بقوائمها السداد الذي سدَّتهُ بهِ . وفي هذهِ الامتحانات دليل قاطع على انَّ الحيوان لا يستدلّ بغير غريزتهِ دون الذاكرة اذ لو كان يستعين بالذاكرة لوجد هنا ما يضلّهُ بتلك المواد المركومة حول وكرهِ وبتلك الروائح التي وُضعت بعد

خروجه منه. فالنتيجة انّ في الحشرة المذكورة حاسّة تجهلها تغلب على النظر وعلى الشمّ اعني مشعر المكان حيث وضعت عشّها

ومثل هذا غرابةً ما يُحكى عن احد علماء الطبيعة الايطاليين في القرن الثامن عشر يُدعى سپالانزاني (Spallanzani) اشتهر بمعارفه في العلوم الجيولوجيّة والطبيعيّات والتاريخ الطبيعي وبالاختبارات التي صنعها في الحيوانات ليطّلع على غرائزها وطباعها. ومن امتحاناته انّهُ كان مدّ في معهد واسع حبالًا مشتبكة بعضها وعلّق في بعض جهاتها واطرافها اشراكاً ثمّ اخذ خفافيش فسدّ عيونها وأطلقها في ذاك المعهد فوجد انّها كانت تطير من طرف الى آخر دون ان تصدم البتّة لا في الحبال ولا في الاشراك. فمن يا تُرى ارشد هذه الطيور العمياء الى الحياد عن الحبال وعن الاشراك؟ وما هذه الغريزة العجيبة فيها! (لهُ بقيّة)

مكتبة طائفتنا المارونيّة

في مدينة حلب المحميّة

حضرة الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

الصنف الخامس

في القوانين والمجامع

نمره ٢١١ زيارة الاسقف الصالح بخط كشرني وضعهُ البطرك سمعان عواد الحصروني. ومن هذا المؤلف عدّة نسخ عثرتُ عليها في اماكن مختلفة ولهذه النسخة مزيّة على غيرها منسوخة تحت نظر المؤلف وقدّم منها بخط يده مسنود الى العبارة الآتية: « نسخهُ الشدياق يوسف ابن مخايل عواد الحصروني وساعدهُ عمهُ المطران سمعان سنة ١٧٣٨ وإستقام ستة ايام على كتابته »

نمره ٢١٢ قوانين قديمة للتانبين: هذا الكتاب سرياني يعقوبي كما يظهر ممّا دوّن على اخر صفحة من قوانين ديونيسيوس بن صليبا انهُ نُسخ سنة ١٩٥٨ يونانية

خروجه منه. فالنتيجة انّ في الحشرة المذكورة حاسّة تجهلها تغلب على النظر وعلى الشمّ اعني مشعر المكان حيث وضعت عشّها

ومثل هذا غرابةً ما يُحكى عن احد علماء الطبيعة الايطاليين في القرن الثامن عشر يُدعى سپالانزاني (Spallanzani) اشتهر بمعارفه في العلوم الجيولوجيّة والطبيعيّات والتاريخ الطبيعي وبالاختبارات التي صنعها في الحيوانات ليطّلع على غرائزها وطباعها. ومن امتحاناته انّهُ كان مدّ في معهد واسع حبالًا مشتبكة بعضها وعلّق في بعض جهاتها واطرافها اشراكاً ثمّ اخذ خفافيش فسدّ عيونها وأطلقها في ذاك المعهد فوجد انّها كانت تطير من طرف الى آخر دون ان تصدم البتّة لا في الحبال ولا في الاشراك. فمن يا تُرى ارشد هذه الطيور العمياء الى الحياد عن الحبال وعن الاشراك؟ وما هذه الغريزة العجيبة فيها! (لهُ بقيّة)

مكتبة طائفتنا المارونيّة

في مدينة حلب المحميّة

حضرة الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

الصنف الخامس

في القوانين والمجامع

نمره ٢١١ زيارة الاسقف الصالح بخط كشرني وضعهُ البطرك سمعان عواد الحصروني. ومن هذا المؤلف عدّة نسخ عثرتُ عليها في اماكن مختلفة ولهذه النسخة مزيّة على غيرها منسوخة تحت نظر المؤلف وقدّم منها بخط يده مسنود الى العبارة الآتية: « نسخهُ الشدياق يوسف ابن مخايل عواد الحصروني وساعدهُ عمهُ المطران سمعان سنة ١٧٣٨ وإستقام ستة ايام على كتابته »

نمره ٢١٢ قوانين قديمة للتانبين: هذا الكتاب سرياني يعقوبي كما يظهر ممّا دوّن على اخر صفحة من قوانين ديونيسيوس بن صليبا انهُ نُسخ سنة ١٩٥٨ يونانية

وهي تقابل سنة ١٦٤٧ مسيحية كما سترى. واليك مثالاً من هذا الكتاب يشرح فيه طريقة الاعتراف عند اليعاقبة نعربهُ عن اصلهِ السرياني :

انَّا نرون ربنا نكتب رتبة عمومية في جانب كلٍّ من الذين بحسب أمر ينشئون الاعتراف الذي هو سبيك برارتنا:

اذا ما اتى انسان ليعترف ويكشف عن خطاياهُ وزلّاتهِ من فجور او زنى او قتل او سرقة او طمع او ظلم او كذب او بغض الى غير ذلك من انواع الخطيئة الذميمة فكأن على الاسقف او القسيس او الوسيط (١) المؤتمن على الاعتراف ان ينتبه انتباهاً عظيماً جدًّا : اولاً وبالخصوص الى ان لا يظهر ابدًا شيئاً مما يسمع بل فليكن ذا حنان الهي على الخاطئ بحيث لا يصغر بعينيهِ ذاك الانسان . وثانياً الى ان لا يحتقر ويرفض ذاك الذي اتى مقرًّا بخطيئتهِ فلا يقرّعهُ ويُنغّصهُ ولو مهما كانت خطيئته قظيعة وخبيثة بل فليرفق به بعد الاعتراف كما كان يرفق به قبلهُ

وينتبه ايضاً الى انهُ لا يُجايبهِ لمحبوبيّة او هيبة لمقام او انتظارًا لتحفة من منافع الهدايا والهبات الذميمة . انهُ لطبيبٌ روحي يجب عليهِ ان يصف الأدوية في طبّهِ على قياس المرض وعلى قياس ما يكون الخاطئ كفؤًا لحملهِ

واما طريقةُ الاعتراف فهذا نمطُها : وهو ان الآخذ بالاعتراف يجلس اما في باب الكنيسة واما امام باب المذبح . وحينما يكشف عن رأسهِ ويطرق في الارض ويجعل يديه مكتوفتين على صدره يترفق كأنهُ امام الله اعترافاً صادقاً بغير خجل وهو لا ينظر الى من يترفق لهُ ولا هذا ينظر اليهِ اذ ان الاعتراف يترفق لله الذي ينظر ويعرف كل شيء وعندئذٍ يخاطب الكاهنُ التائبَ قائلاً لهُ بملء اللين والتؤدة :

« انظر ايها الحبيب وأيقن انك ان كنت تعترف بكليّة قلبك وتعزم ألّا تقترف شيئاً مما اعترفت بهِ الآن وألّا ترجع الى اي خطيئة كانت فها ان الله يقول لساني الآن : « مغفورة لك خطاياك » وكل ما اوضحتهُ بارادتك من خطاياك واعترفت بذلك اقترفتهُ يُمحى في اليوم العظيم المخيف ولا تدان بسببهِ ولو بكلمة في موقف الدين العادل »

وبعد ذلك يبتدئ الكاهن ويسبّح فيقرلون كل الرتبة التالية كانتها وفي نحو ذلك يكون التائب ساجدًا ويداه مكتوفتان على صدرهِ الى ان تنتهي « التبانات » (الخاطات) « والسدرات » (الصفوف) « والقولات » (اصوات الالحان والترآنات) « والباعوثات » (او الطلبات) الخ » اه الترجمة

ويلي ما تقدّم بالعربية :

« ثم يضع الكاهن يده على رأس التائب ويصلي عليهِ ثم يضع القانون وبعد ما يكمل القانون

---

١) ولعلَّهُ اراد بالوسيط الترجمان لانهم يستخدمون الترجمان في الاعتراف في الهند لانَّ كهنة اليعاقبة هناك لا يعرفون لغة اهل البلاد على ما رواه في اللقات

يقول هذه الصلوة على رأسه (الصلوة بالعربية باحرف سريانيَّة) : « المسيح الاله عارف الخفيات وفاحص القلوب الذي وهب واعطى لك عقلًا ومعرفة حتى تعلم وتعترف بخطاياك وسألت منهُ الشفاء من اجل جهالاتك وذنوبك ليسد حقارتنا هو يحلُّ يمينهُ على ضربانك وجروحاتك ويخلصك وينجيك من ملاك هذوانك : اه

ألا يرى الطالع من كل ما اوردناه ان شريعة الاعتراف هي شريعة الهيَّة لا بشريَّة تسلَّمتها الكنيسة من المخلص والرسل وحافظت عليها الطوائف المنفصلة عن الكنيسة الرومانيَّة في اجيال مختلفة . وكافي بواضح التنبيهات بالسريانيَّة قد طالع كتاب المعرَّف للقديس ليكوري فلم يبتعد عن قوانين ونظامات الكنيسة الكاثوليكيَّة . وبعد الصلوة الواردة آنفًا جاءت العبارة الآتية معرَّبة عن السريانيَّة : « انتهى صلَّوا على بهنام الدنس والذليل الذي خطَّ هذه الاسطر وصلوا على والديه »

وقبيل الصفحات الاخيرة من قوانين التائبين لابن صليبا عاق الناسخ العبارة الآتية بالعربيَّة : « انكتب هذا الكتاب الشريف اي قوانين مار ديونيسيوس المعروف بابن الصليبي . . . وكان ذلك سنة ١٩٥٨ يونانيَّة سنة ١٦٤٦ مسيحيَّة في دير مار بهنام المعروف بمحبسة مار بطرس شمالي دير الكرسي المعظم المعروف بدير الزعفران »

ثم يلي هذه الكتابة العربيَّة العبارةُ الآتية بالسريانيَّة نلنا من فحواها ان الكاهن يشرف التائب بالاسرار (اي يعطيه القربان) ولمَّا يتقرَّب يضع الكاهن يمينهُ على رأس التائب وينفخ بوجهه ثلاث مرات قائلًا (١ :

ⲁⲩⲱ ⲁⲛⲟⲕ ⲡⲓⲕⲁϩⲓ ⲉⲧⲁⲓ ⲉⲣⲟⲕ ⲉⲡⲓⲣⲁⲛ ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲡⲁⲧⲣⲟⲥ ⲙⲛ ⲡⲓⲩⲓⲟⲥ ⲙⲛ ⲡⲓⲡⲛⲉⲩⲙⲁ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ ⲁⲙⲏⲛ ⲁⲩⲱ ⲁⲛⲟⲕ ⲡⲓⲕⲁϩⲓ ⲉⲧⲁⲓ ⲉⲣⲟⲕ ⲉⲡⲓⲣⲁⲛ ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲡⲁⲧⲣⲟⲥ ⲙⲛ ⲡⲓⲩⲓⲟⲥ ⲙⲛ ⲡⲓⲡⲛⲉⲩⲙⲁ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ ⲁⲙⲏⲛ ⲁⲩⲱ ⲁⲛⲟⲕ ⲡⲓⲕⲁϩⲓ ⲉⲧⲁⲓ ⲉⲣⲟⲕ ⲉⲡⲓⲣⲁⲛ ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲡⲁⲧⲣⲟⲥ ⲙⲛ ⲡⲓⲩⲓⲟⲥ ⲙⲛ ⲡⲓⲡⲛⲉⲩⲙⲁ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ ⲁⲙⲏⲛ

وممَّا يجب الانتباه اليه ان العبارة الاولى التي يتلوها الكاهن على رأس التائب وهي « المسيح الاله عارف الخفيَّات » التي اثبتناها نقلًا عن هذا الكتاب ليس فيها في اصلها السرياني صورة قضائيَّة على ما يظهر . فندع لارباب البحث النظر في هذا الموضوع وهذا كافٍ

نمرة ٢١٣ حادثة انتخاب البطريرك سمعان عوَّاد . كراس صغير بخط كرشوني نسخة

(١ تعريبها : أُطلقتُ انا الخطيَّة من نفسك باسم الاب ابن . تطهرت وتقدست باسم الابن ابن . تؤهل لمشاركة الاسرار المقدسة باسم الروح القدس للحياة الابدية ابن

الخوري انطونيوس شهوان الغوسطاني سنة ١٧٤٨ وجمع فيه البرآات البابويّة التي اصدرها الكرسي الرسولي بهذا الشأن وصدَّر هذا الكراس بما يفصح عن ظروف الحادثة بعبارات موجزة جليَّة قال :

بسم الاب .... انهُ لمَّا انتقل البطريرك يوسف الحازن الانطاكي على الملَّة المارونة في اليوم الثالث عشر من شهر ايار سنة ١٧٤٢ في دير ريفون اجتمع رؤساء الطائفة واعيانها ودفنوه في قرية غوسطا (١ وفي اليوم الثاني من دفنهِ اتفق ستة مطارين وانتخبوا حضرة السيد الاكرم المطران الياس عجاسب وساموهُ بطركاً في دير القديس مار انطونيوس عين ورقة الذي موقعهُ بجانب القرية المذكورة وكان حضرة السيد الاكرم المطران طوبيا الحازن عمّ البطريرك يوسف المتوفى غائباً في مدينة طرابلس. فلما سمع المطران الياس بطركاً من غير انتظار حضوره اغاظ جداً ورسم مطرانين في دير لوزه بطابقة المطران اغناطيوس وحضوره وانتخبوه بطركاً وساموه بعد سياسة المطران الياس بعشرة ايام وانقسمت الطائفة والمشايخ فرقتين مع ذا ومع ذاك وكتب الفريقان مكاتيب وارسلا قصّاداً الى الحبر الاعظم بابا رومية يستمدّان منهُ درع الرئاسة والتثبيت. فتأمَّل الحبر الاعظم والمجمع المقدس حال الفريقين وفحص انتخاب كل منهما وحكم بثلاثيهما واقام حضرة السيد الكلي الاحترام المطران سمعان مراد الحصروني بطركاً واصدر برآات شريفة في ذلك وهذه صورتها كما نُقلت الى اللغة العربية من العلم الماهر في اللغتين اللاتينية والعربية القس اسطفانوس ورد تلميذ المدرسة الرومانية وقوبلت من علماء ثقات ماهرين وقُبلت من رؤساء الطائفة اجمعين »

ثم تتلوهُ هذه البرآات بخطّ الخوري انطونيوس ولمَّا كانت نُشرت بالطبع في مؤلفات متعددة لذلك ضربنا عن اثباتها هنا. وفي اخر الكراس الموما اليه : « انا الخوري انطونيوس نسخت هذه البرآات الرسوليَّة من نُسخة مضبوطة حرفاً بحرف وانتهيت منها في ٣١ تموز سنة ١٧٤٨ »

نمره ٢١٥ الحاوي الكبير بحرف سرياني وهو مجلَّدان وضعهُ انطيوخوس الراهب من سيق (بيثانيَّة اي دير) القديس سابا ونسخة القس حنا زنده الماروني سنة ١٦٩٢ واوقفه السيد فرحات للمكتبة سنة ١٧٢٦

امَّا ما تضمَّنه هذا المؤلف والغاية من وضعه فهاك ما ورد في مقدمة الكتاب بهذا الصدد. والمقدمة على الراجح هي من قلم الناسخ القس حنا وهاك بعضها :

نبتدي بعون تعالى بكتابة مصحف الحاوي الكبير المشتمل على وصايا الرب وقوانين الآباء القديسين واوامر الرسل الطوبيين وهو ثلاثة وستون مقالة

---

١) والى الآن صورة هذا البطريرك فوق ضريحهِ في كنيسة مار الياس في غوسطا

فاتحة الكتاب :

المجد لله الذي خلق الخلائق بكلمته ودبّر البرية بحكمته وكوّن الامم بلطف قدرته . . .
اما بعد فانّ كتب الله المقدّسة تزيل عن القلوب الشبهات وتصدق ما فيها يزيد في الحسنات ويمحو السيّئات لاسيما الكتب المدوّنة من الآباء المتألهين الالباب المرشدين بتعاليمهم الى الحق والصواب . . .

الى ان يقول :

ولما تألمت علينا الامم مشرقة واقوالهم مختلفة الى حيث عدلنا وحدنا عن الاوامر الالهية ونبذنا الشرائع الربانيّة وقلّ اكثرائنا في الكتب الدينية وطرحنا الوصايا والقوانين الرسولية فسمح الله جلّ ثناؤه ان تستولي علينا الامم والنبائل الغريبة وتملك بلادنا وتستحوذ على كنائسنا وطردوا الديار المقدسة الاورشليميّة العجم والترك وبعدم الامة الاسماعيليّة . . . وكان في ذاك الحين راهب فيلسوف محب للعلوم اسمهُ انطيوخوس من سبق القديس مار سابا في سنين تملّك قسطنطين الملقب بالدوكيس (١

فلمّا رأى هذه الامور صادرة وما اسفرت احوال المؤمنين اليهِ فخشي لئلّا مع تمادي الايام يُفقد شيء من المجموعات المذكورة فوجد سبباً لائقاً موافقاً فجمع من الكتب الالهية كتاباً سمّاه الحاوي لانهُ يحتوي على اشياء كثيرة اخرجها من الكتب الشرعية المقدسة من موضع الى موضع صعب غير متيسر بها وقد تكاثرت كثيراً ورأى تفاسيرها مشتتة مفرقة هنا وهنا مبلبلة وكانها قد طُمرت في عمق ماء من كثرة الكتب ووجد ان اهل هذا الزمان اسرُّ حاجة الى هذه الاخبار وتفاسير هذه الكتب لكي تترجم وتوضح لهم لبّ الكتب الالهية المخفي عنهم "

وفي مكتبة الآباء اليسوعيين نسخة من هذا المؤلف النفيس ونكتفي على ما اذكر الان لم اعثر منهُ الّا على المجلد الاول فقط (٢ وهذا الكتاب تهمُّ مطالعته من يرغب الوقوف على اطوار الشرع الكنائسي في الشرق

الصنف السادس

المكتبة الجدلية

نمرة ٢١٧ مجادلة البادريّة مع المطران سيرون الارمني تأليف الاب بطرس ديلار

---

١) ان قسطنطين هذا هو الحادي عشر بهذا الاسم ملك من سنة ١٠٦٢ الى سنة ١٠٥٤ ومن هذا التاريخ يعرف عصر وضع هذا الكتاب

٢) قد وصفنا هذه النسخة في مقالتنا عن المخطوطات العربيّة في خزانة كليّتنا الشرقيّة تحت العدد ٨١ (المشرق ٨ | ١٩٠٥ : ٧١١-٧١٣) فليراجع (ل . ش)

المرسل الرسولي اوقفه المطران جرمانوس حوالي سنة ١٨٠٩ بثمن سبعة غروش

نمره ٢١٨ كتاب ظهور الايمان للقس سركيس الجوري الماروني. وعلى الصفحة الاولى من هذا الكتاب بخط المطران جبرايل حرشب ان مؤلف الكتاب « القس سركيس المومى اليه اوقفه للمكتبة سنة ١٧٤٥ » : لما. وضوع الكتاب ونسبة مؤلفه فظاهر مما هو مدوّن على صفحاته الاولى فنقتطف ما يلي ليقف المطالع على الغرض من هذا التأليف:

« ديباجة هذا الكتاب المسمّى ظهور الايمان المؤلّفة القسيس ابن الشديافي بطرس ابن اخو (كذا) المطران سركيس الجوري وابن اخت المطران الياس الحدثاني وابن بنت الحوري جبرايل الذي استقام رئيساً على الكهنة في حلب نحو من ثلاثين سنة وابن عم البطريرك يوحنا محلوف ويتضمن بعض قضايا وتواريخ لغرف المسيحيين (كذا) ان من عند المسيح الى الان والى منتهى العالم لم يزالوا الاحبار الرومانيّون متمسكين ومبشرين في الايمان المستقيم الكاثوليكي العالم اجمع بواسطة قدّامهم واساقفتهم ومرسليهم وسجلاتهم وكتبهم ورسائلهم غرباً وشرقاً الكوهم ضابطين سفينة مار بطرس التي لم تتمزّق شبكتها الخ »

وقد سبق لنا كلام على القس سركيس تحت نومرو ٨٢

نمره ٢٢٠ ايضاح الاباء القديسين ضد إلحاد الشاقين للمطران جرمانوس ادم الروم الكاثوليك وهذا المؤلف نسختان اخريان تحت نومرو ٢٢١

نمره ٢٢٢ الصبح المبين في ضلال لوتير وكلوين اللاب بطرس فرماج اليسوعي الشهير . ولما كانت مؤلفات هذا الاب عديدة من هذا النوع في المكتبة فنسردها تباعاً وهاكها

نمره ٢٣٠ الدمع السجوم في انشقاق الروم .

نمره ٢٣٢ خلاف الطوائف الشرقية على اوّله باللاتينية Controversiæ cum Schismaticis et Hæreticis Orientalibus. Die 25 Junii 1699, Damasci alepenis Soc. Jesu .

نمره ٢٤٤ مراسلات جدلية للاب فرماج اعربها الشماس عبدالله زاخر الشهير ونسخها سنة ١٧٣٧ شكرالله ابن ميخايل زنده ومسودة هذا التأليف تحت نومرو ٢٤٣ وهذا التأليف هو ضد الياس فخر من الروم المشاقين . وعليها بخط الاب فرماج : « هذه هي مسودة كتابي ضد الياس فخر اعربهُ الشماس عبدالله زاخر »

نمره ٢٥٤ رسالة جدلية ضد الياس فخر في تقديس الاسرار ومن الغريب انه يوجد في المكتبة معظم مؤلفات الاب فرماج ومسوداتها اكثرها بخط يده فكانه كان يعرضها على المطران جرمانوس ليعربها له وهذا مشهور لدى الباحثين (١

ولنرجع الان الى سرد بعض كتب جدلية يهمّ المطالع الوقوف عليها

نمره ٢٢٦ الاجوبة الجدلية للقس انطون صباغ الرومي الكاثوليكي ولهذه الاجوبة نسخ عديدة في مكاتب اديار لبنان

نمره ٢٣٨ دعاوي السيد جرمانوس حوا الماروني بخط يده ما عدا الصفحات الاخيرة منها . ومنها نسخة اخرى عنوانها سؤالات المطران جرمانوس حوا وضعناها تحت هذه النمرة ذاتها اي ٢٣٨ ودونك ملخص هذه الدعوى:

وقع خلاف بين السيد جرمانوس حوا والبطريرك يوسف التيان وبقي هذا الخلاف متمكناً ايام بطركية يوحنا الحلو خلف التيّان بعد تنزله عن البطركية على ما هو مشهور: اما مواد هذا الخلاف فكثيرة لا مجال لسردها الان واخصّها امر تعيين البطريركين المذكورين الخواجه حنا كنيدر وكيلاً للسيد البطريرك بعد موت شقيقه المطران جبرايل كنيدر (٢ فتعاظم الخلاف والجدال حتى ذهب المطران جرمانوس بذاته الى رومية وعرّج في طريقه على الاستانة على بيت اخيه هناك وطرح على الاكليروس الكاثوليكي في تلك المدينة بعض سؤالات قانونية بداعي هذا الخلاف ثمّ لمّ رومية العظمى وعاد منها في ٢٥ نيسان سنة ١٨١٧. اما كيف انتهت هذه الدعوى فبالمصالحة والسلام وهذا مستند الى كتابة السيد جرمانوس حوا الى القاصد الرسولي السيد كوندافي والى السيد البطريرك يوحنا الحلو وهاكها بالحرف:

صورة مكتوبي للسيد البطريرك يوحنا

ايها السيّد الجزيل النبطة والمكلل الاحترام

« غب قبلة اناملكم المكرمة وتقدمة كلّ ما يجب ويليق لمقامكم السامي والسؤال عن خاطركم وصحّة سلامتكم المرغوبة: هو انهُ من الاوامر الرسوليّة الواصلة لسيادتكم تفهمون كيف انتهت دعاوينا فلا يلزم لاعادة الشرح ونحن حبّاً للسلامة ولاجل خير نفوس رعيتنا قد

(١ او يقال بالاحرى انّ الموارنة بعد الناء الرهبانيّة اليسوعيّة حصلوا عليها ل. ش

(٢ راجع حاشيتنا في الصفحة ٩١ من سنة المشرق الحاليّة

صنعنا وتركنا لكل من اساء لشخصنا وقدّم لديوانكم ما هو زور ضدّنا باي نوع كان وهكذا نؤمل من شيمكم بانكم تتركوا كل ما مضى وتصفّحوا الخاطر وتصفحوا عمّا بيننا كما انهُ صدر منّا ضد غيظكم لا سمح الله بل اننا لم نزل الى الان مستمدين كما كنا سابقاً بكل احترام وخضوع لطاعة كافة الاوامر البطريركيّة القانونيّة ثم اننا ننتظر جواب سيادتكم المحترمة بحلب ان سمح لنا البارى كوننا متوجهين بعونه تعالى لابرشيتنا فرافقونا بدعاكم الصالح في هذا السفر ثم نكرر كل ما يحب ويليق مع تقبيل انامليكم. ثانياً وثالثاً سُطر بمدينة رومية الكبرى في خمس وعشرين نيسان سنة ١٨١٢

الحقير جرمانوس جوّا
(مكان الختم) برحمة الله ونعمة الكرسي الرسولي
مطران حلب

وفي آخر هذا الكتاب على ما اشرنا كتابة بخط يختلف عن خط المطران جرمانوس ولعلّها لاحد الكهنة من كشّة اسراره وهاك بعضها: « حاشية تعلن ما تمّ بعد وصول قدس المسيو جوا الكلي الشرف والاحترام الى القسطنطينية ثم سفره منها ووصوله لمحروسة حلب ». وملخّصها انهُ غادر ليفورنا الى القسطنطينية في ٢٦ تموز سنة ١٨١٧ وغادر القسطنطينية الى حلب برًّا في ايلول وادرك حلب في ١٢ تشرين الاول: وأما كانت هذه الكتابة مملّة وفيها تفاصيل استقبال الخبر العائد لرعيته وهربه من احتشاد الناس الخ لذلك اضربنا عن اثباتها هنا فعلى من يهمّهُ الاطلاع على اسرار هذه الدعوى وسيرها وعودة هذا الاسقف لابرشيته ان يطالعها بامعان وبهذا غنىً عن الاسهاب

نمره ٢٣٩ نبذة ما بين المرسلين ومطران الوارنة. ويليها صورة مجمع بكركي المعقود سنة ١٧٩٠. وقد سبق لنا كلام في موضوع هذه النبذة في عدد شهر ايار من المشرق في هذه السنة وذلك بخصوص سماع الاعترافات في البيوت فراجع ما سطرناه هناك

نمره ٢٤٠ كتاب البرهان لاغرونيوس وهو ممّا ترجمهُ عبدالله ابن الفضل الانطاكي

نمره ٢٤٢ برهان هندسي (كذا) في سلطان الكنيسة الرومانية تأليف الاب كلاديوس اليسوعي سنة ١٧٠٩ نُسخ سنة ١٧٣٤ ولا ذكر للناسخ امّا الواقف فقد كتب بشأنهِ ما يلي بالحرف:

« اوقفهُ الخواجا شرمن تاجر من تجّار الانكليز المستأمنين في هذه المحروسة وابنا لكتبة

انكلترة واكراما لقول السيد المسيح القائل بلسان القديس بولس الرسول : فلتعلن الخير مع الكل خصوصا من اهل الايمان . ثم في رئاسة الاب المكرم . . . المطران جبرائيل حوشب سنة ١٧٣٤ »

نمره ٢٤٥ تحت هذه النمرة كتاب يحتوي على مواضيع مختلفة : اولها « كتاب امانة مار يوحنا مارون بحرف كرشوني وينتهي هذا الكتاب عند العبارة الاتية من قول داؤود : « وانت كما انت وسنوك لم تفنا (كذا) فكل المصائب احتمل المسيح بالجسد » . وما بقي من الكتاب ناقص . ثم يلي ما تقدم مواضيع اخرى في هذا المجلد منها نافور اكليمندس بابا رومية وعلى آخره اسم الكاتب مخايل فقط وسترى من هو مخايل هذا . ثم نافور باسيليوس . ثم نافور غريغوريوس الناذلوغوس وفي آخره بالسريانية : « انهُ انتهى في عشرين نيسان سنة ١٦٣٦ بالشام على يد مخايل تائلا باسم خوري من بقاع كفرا من جبل لبنان » ثم يقول الناسخ المذكور : « ان هذه النوافير الثلاثة ليست موجودة بالكتاب المطبوع برومية وانهُ نسخها للخوري ورقفه ابن المرحوم الخوري يوسف الباني لتكون لكنيسة حلب » ويعتذر عن شناعة الخط وبالحقيقة انهُ خطٌ شنيع جدًا : ثم ينتهي هذا المجلد برتبة تبريك الشمع ونوافير اخرى موجودة في كتاب قداسنا المطبوع وهي معروفة :

نمره ٢٥٩ اسامي المبتدعين او ديوان البدع للمثلث الرحمات المطران جرمانوس فرحات اوقفه مؤلفه للمكتبة سنة ١٧٣١ بثمن ٧ اسدي

نمره ٢٦٤ كريريسة برهان الكنيسة الرومانية بجهول مؤلفها ولكن عليها صورة تثبيتها من المطران ارسانيوس شكري مطران حلب ومن المطران مخايل الخازن النائب البطريركي سنة ١٧٨٣

نمره ٢٦٧ مراسلة بين الاب بطرس فرمـاج والشماس عبدالله زاخر بداعي دير راهبات روم كاثوليك في حلب سنة ١٧٤٠ اوقفهـا الخوري نعمة الله ابن زخريا الشراباتي سنة ١٧٤٦

وعلى الصفحة الاخيرة من المراسلة ترى امضـا الاب فرماج على هذه الصورة

الداعي لحياتك

بطرس مرسل يسوعي مرشدك ومعلمك

هذا ومعظم الكتب الجدليّة مدارهُ على الحقائق الاعتقادية المختلف عليها بين الشرقيين ومن مطالعة اصناف هذه المؤلفات يظهر لك ما قدَّمه المرسلون الافرنج من الخدم للدين في الشرق وغيرتهم على تثبيت اولاد الايمان في ايمانهم وردّ سهام الاراطقة

نمره ٢٧ و٢٨ تحت هذين الرقمين كتابان احدهما قديم بخط عربي قد شوهتهُ غِيَر الايام والاخر كشوني وهما بمعنى واحد وموضوعهما جدال بين الراهب السمعاني (١ وثلاثة كفار من المسلمين وعدولهم بحضرة الامير المكنّى بالشتر وما جرى بينهم من الخطاب ورد الجواب. وصدرُ الكلام في هذا الكتاب هو ما نثبته هنا بالحرف:

« في امارة الملك الظاهر غازي ابن يوسف بن ايوب السلاحي على امة الاسلام بمدينة حلب الشامية وصاحب مدينة اطاكية في ثغلك لادون ابن استفانوس على قبيلة الافرنج في سنة اثنا عشر الموافقة لسنة ستة آلاف وسبعمائة وخمسة وعشرين لابينا آدم عليهِ السلام (١٢١٧م) قال: ان رئيس دير القديس سمعان النجائي البحري حضر بين يدي الامير والسلطان صاحب مدينة حلب واعمالها حيث كان يترل بجملة جيشهِ في الفضا الذي بين عمر وحارم وكان حضور الرئيس لدى الامير لاجل اصلاح دبره وترميم احواله »

ولهذا المؤلف نسخة في مكتبة دير الشرفة العامر وخمس نسخ في المكتبة الشرقيّة للآباء اليسوعيين في بيروت ولا تخلو مطالعته من افادة (له تابع)

الوحي الالهي

نظر في امكانه وضرورته

للاب شرل ابيلا اليسوعي (تابع)

جاء في المجمع المسكوني الواتيكاني (٢ ما تعريبهُ:

« وهي امنا الكنيسة المقدسة تعتقد وتعلم انَّ الله اصلُ الكائنات كلها وغايتها جميعاً يستطيع العقلُ البشري بنورهِ الطبيعي ان يعرفهُ يقيناً بتأكيد من الاشياء المبروءة لأنَّ غيرَ منظوراتهِ قد أُبصرت منذ خلق العالم اذ أُدركت بالمبروءات (رو ١: ٢٠). الَّا انَّهُ قد حسُنَت لدى

---

١) المراد بالراهب السمعاني هنا نسبته الى دير مار سمعان كما سترى لا نسبته لمانلة

٢) في الجلسة الثالثة الرأس الثاني في الوحي

هذا ومعظم الكتب الجدليّة مدارهُ على الحقائق الاعتقادية المختلف عليها بين الشرقيين ومن مطالعة اصناف هذه المؤلفات يظهر لك ما قدَّمه المرسلون الافرنج من الخدم للدين في الشرق وغيرتهم على تثبيت اولاد الايمان في ايمانهم وردّ سهام الاراطقة

نمره ٢٧ و٢٨ تحت هذين الرقمين كتابان احدهما قديم بخط عربي قد شوهتهُ غِيَر الايام والاخر كشوني وهما بمعنى واحد وموضوعهما جدال بين الراهب السمعاني (١ وثلاثة كفار من المسلمين وعدولهم بحضرة الامير المكنّى بالشتر وما جرى بينهم من الخطاب ورد الجواب. وصدرُ الكلام في هذا الكتاب هو ما نثبته هنا بالحرف:

« في امارة الملك الظاهر غازي ابن يوسف بن ايوب السلاحي على امة الاسلام بمدينة حلب الشامية وصاحب مدينة اطاكية في ثغلك لادون ابن استفانوس على قبيلة الافرنج في سنة اثنا عشر الموافقة لسنة ستة آلاف وسبعمائة وخمسة وعشرين لابينا آدم عليهِ السلام (١٢١٧م) قال: ان رئيس دير القديس سمعان النجائي البحري حضر بين يدي الامير والسلطان صاحب مدينة حلب واعمالها حيث كان يترل بجملة جيشهِ في الفضا الذي بين عمر وحارم وكان حضور الرئيس لدى الامير لاجل اصلاح دبره وترميم احواله »

ولهذا المؤلف نسخة في مكتبة دير الشرفة العامر وخمس نسخ في المكتبة الشرقيّة للآباء اليسوعيين في بيروت ولا تخلو مطالعته من افادة (له تابع)

الوحي الالهي

نظر في امكانه وضرورته

للاب شرل ابيلا اليسوعي (تابع)

جاء في المجمع المسكوني الواتيكاني (٢ ما تعريبهُ:

« وهي امنا الكنيسة المقدسة تعتقد وتعلم انَّ الله اصلُ الكائنات كلها وغايتها جميعاً يستطيع العقلُ البشري بنورهِ الطبيعي ان يعرفهُ يقيناً بتأكيد من الاشياء المبروءة لأنَّ غيرَ منظوراتهِ قد أُبصرت منذ خلق العالم اذ أُدركت بالمبروءات (رو ١: ٢٠). الَّا انَّهُ قد حسُنَت لدى

---

١) المراد بالراهب السمعاني هنا نسبته الى دير مار سمعان كما سترى لا نسبته لمانلة

٢) في الجلسة الثالثة الرأس الثاني في الوحي

حكمته وجودته طريقةٌ غير هذه وهي فائقة الطبيعة بما أوحى ذاتهُ واحكام ارادته الازلية الى الجنس البشري على ما قال الرسول : انَّ الله الذي كلَّم الآباء قديمًا في الانبياء كلامًا متفرّق الاجزاء مختلف الانواع كلَّمنا اخيرًا في هذه الايَّام في الابن (عب ١ : ١-٢)

« والى الوحي الالهي هذا يُعزى ولا بدَّ الفضل في كون ما جاء من الامور الالهيَّة بيّنًا في حدّ ذاته للعقل الانساني اضحى ايضًا في حالة الجنس البشري الحاضرة مستطاعًا للجميع معرفتهُ بسهولة وتأكيد ثابت دون ان يشوبها ضلال . ولكن ليس هذا هو السبب في وجوب القول الوحي ضروريًا ضرورةً مطلقةً وانما هو كذلك لأنَّ الله لجودته غير المتناهية وجَّه الانسان الى غاية فائقة الطبيعة وهي نصيب يكون له من الخيرات الالهيَّة التي تفوق كليًا أدراك الذهن البشري لأنَّ ما لم ترهُ عينٌ ولا سمعت به اذنٌ ولا خطر على قلب بشر ما اعدَّهُ الله للذين يحبّونهُ (١ كور ٢ : ٩) »

ولم يغرب عن بالنا اننا بازاء المتعاقلين في موقف يقتضي منا ادلة عقليَّة محضة وعليه لم نُورد النصّ الواتيكاني قصدَ ان نستخلص منهُ حجَّةً عليهم وانما جلّ بغيتنا ان نوقف القارئ على معنى ضرورة الوحي التي تجزم بها الكنيسة المقدَّسة والتي توخينا اثباتها هنا بالبرهان العقلي . وتمهيدًا لهذا الغرض رأينا ان نتقدّم قولًا مجملًا موجزًا في حقيقة الضرورة وضروبها

الضرورة اسمٌ للاضطرار وهو الاحتياج الى ما يُقال لهُ ضروريٌّ . فالضروري اذًا هو ما لا غنىً عنهُ للشيء كيما يكون او يفعل

وللضرورة اضرُب ثلاثة فهي اصليَّة (métaphysique) وطبيعيَّة (physique) وادبيَّة (morale) . وليس في الاولى لنا شأن هنا فنضرب عنها صفحًا

اما الثانية ويُقال لها ايضًا مطلقةٌ فهي كون الامر الضروري لا تتمّ بدونهِ الموازنة التي لا بدَّ منها بين الفاعل وفعلهِ وذلك اما لخلل في قواه واما لشرطٍ لم يُستوفَ . فالعصفور مثلًا لا يطير بلا جناح والعين لا ترى بلا نور

واما الضرورة الادبيَّة فانما تُعتبَر في الوسائط التي يتذرَّع بها البشر طلبًا الى غاياتهم . فالواسطة اللازمة لزومًا ادبيًا هي التي لا يستحيل دونها بلوغ الانسان غايتهُ الَّا انهُ ان اعتُبرت قواهُ مجرَّدةً في حدّ ذاتها الَّا انَّ ظروف الحال التي وُجد فيها الانسان تجعلُ هذه الواسطة ضروريَّةً بحيث انهُ بدونها يُعاني في تحصيل الغاية مشقَّةً عظيمة وتعسُّرًا شديدًا وصعوبةً هذا حدّها حتى ان الناس في واقع الامر لا

يتجشمون تلك المشقات ولا يقاومون تلك الصعوبات المقاومة الكافية بل تنحط دون تذليلها قواهم . والصعوبات هذه درجات تتراوح معها الضرورة الادبية فتبلغ هذه اشدها ويقال الواسطة لازمة بحصر المعنى اذا انحطت دون تذليل الصعوبة قوى البشر كلهم وعلى هذا النوع مثلاً ضرورة اليكار لرسم دائرة متقنة محكمة . ويقال للواسطة ضرورية على سبيل التوسع في المعنى اذا امكن البعض القليل من الناس ان يستغنوا عنها من ذلك قول الاخلاقيين مثلاً : من الوسائل اللازمة لصيانة النفس من الخطية تجنب اسبابها القريبة . يحتجون بهذا مع علمهم ان الانسان حر لا يضطره شيء الى الاثم وهم عالمون ايضاً انه وان عرض بنفسه الى اسبابه القريبة قد لا يجترحه فعلاً غير ان سلامته من خطره عندئذ ليست الا من الامور الشاذة النادرة التي لا يبنى عليها قاعدة الحكيم الفطن

ومن ثم يسهل علينا ايضاح معنى الضرورة التي نريد اثباتها للوحي الالهي فنقول :

اولاً ان اعتبرنا الدين على ما هو في الواقع (راجع الصفحة ٣٣—٣٤) وضعيًا فانق الطبيعة اعني ان كان حاوياً احكاماً الهية منوطة باختيار الله الحر لا يتصفحها الضمير في كتاب الطبيعة المخلوقة وبالاحرى ان كانت غاية الانسان فائقة مقتضيات فطرته وطاقتها فحينئذ لا شك ان الوحي لا مندوحة عنه وانه لازم لزوماً طبيعياً مطلقاً . وهو المراد من قول المجمع الواتيكاني انه تعالى اختار « طريقة فائقة الطبيعة بها اوحى الينا ذاته واحكام مشيئته الازلية » . وايضاً ان ضرورة الوحي مطلقة « من حيث انه تعالى خص الانسان بغاية تفوق الطبيعة » ولا حاجة الى الاسهاب لاثبات هذه الحقيقة . فمن اين لي ان اعمل باحكام الله الوضعية ما لم يعلني اياها عز وجل وكيف يعلنها بلا وحي وهي مطوية في سر علمه غير مسطرة في سفر مخلوقاته . وايضاً قد خصنا البارئ تعالى بالنطق والاختيار ولم يفعل عبثاً فتقتضي اذاً حكمته ألا نتبع غايتنا القصوى جاهلين اياها مما يحط بنا الى منزلة الجمادات والبهائم التي لا تعي الغاية التي من اجلها وُجدت فتنقاد اليها عن عمى لمجرد ميل فطرها عليه الرب فتتبعه لا تختاره ولا تدري مآله . اما الحيوان الناطق فشأنه ان يتوخى بارادته واختياره الغاية التي من اجلها خُلق فلا غنى له ولو عن بعض الالمام بها ولكن كيف يتسنى له هذا ما لم يوحِ اليه تعالى بتلك الغاية وهي في افتراضنا سامية تفوق

مقتضيات فطرتنا وقواها فلا حديث للطبيعة عنها الينا

(ثانياً) على اننا في بحثنا الحاضر نضرب صفحاً عما يفوق ادراكنا الغريزي ونحصر القول في الدين الطبيعي القائم على العلاقات الطبيعية (راجع ص ٣١—٣٣) التي تربط البشر بخالقهم . فانّ الوحي الالهي حتى في هذا الاعتبار ضروريٌّ . الّا انّ ضرورتهُ ليست مطلقة طبيعية ولكن ادبيّة محمولة بالاقل على سبيل التوسع في المعنى تطبيقاً لما اوردناه انفاً للمجمع الواتيكاني حيث جاء انّ الالهيات التي لا تفوق ادراكنا الغريزي انما اضحت بفضل الوحي سهلة معرفتها للجميع بلا ريب وعن غير ضلال وعليه اردف المجمع بقوله انّ ضرورة الوحي من هذه الحيثيّة ليست مطلقةً

ولا مشاحّة ايضاً انّ الانسان بمجرّد العقل الغريزي يتمكن من معرفة الله على ما هو بيّنٌ واضحٌ من آيات الكتاب العزيز (١ ومن المجمع الواتيكاني نفسهِ في مستهلّ حديثهِ عن الوحي(٢ . ولكن تُرى هل معرفة الخالق هذه التي نتوفّق اليها بمعزلٍ عن الوحي كافيةٌ للحصول على غايتنا الطبيعيـة القصوى لو لم يخلقنا تعالى لما هو فوقها ؟ هذا ما لا نتعرّض لنفيهِ ولا لايجابه هنا فقد لا ينكره البعض (٣ ولكن مهما كان من الامر فلا شكّ انّ في الالهيّات والادبيّات والدينيّات غير حقيقةٍ طبيعيّة تليق بنا معرفتها بل عارٌ وشينٌ على البشر جهلُها ولو قيل بعدم وجوب الالمام بها كيما يفوزوا بغايتهم القصوى . ومن سائل ما هي وكم هي الحقائق من هذا الضرب فنجيبه : اذا تعذّر علينا ان نضع لها حدًّا يفصلها عن تلك التي لا سبيل للانسان بلا معرفتها الى غايتهِ الطبيعيّة القصوى فلا اقلّ من ان نعدّ جاهلًا غبياً مَنْ لا يعي الامور الآتي ذكرها سواء كانت من النوع الاوّل او الآخر :

الله موجودٌ وهو الهٌ متفرّدٌ في كمالهِ الذي لا حدَّ لهُ ولا قياس . يعتني بخلقهِ ويسهر عليهم بعنايته . وللانسان نفس خالدة لا تموت بموتهِ . ثمّ انّ انّ البَرَن شاسعٌ بين الخير والشرّ وبين العدل والظلم وبين الحياة الدنيا والآخرة . وعلى هذه المبادئ

---

١) اطلب سفر الحكمة ١٣ — والرسالة الى الرومانيين ١ : ١٨ — ٢٢

٢) اطلب Granderath : *Constitutiones Dogmaticae Sacrosancti Concilii Vaticani*. Friburgi, 42 sqq.

٣) اطلب Wilmers : *De Religione revelata*, n. 95

النظرية يبني العقل النتائج العملية الادبية التي تتقيد بها الارادة. منها فروض العبادة للربّ والصلاة اليه وتعظيم سلطته فيمن قلدوها ومنها تفدية الخير العامّ بالخاصّ وما على الابناء من واجب الاكرام والمحبة نحو والديهم بان يطيعوهم ويتفانوا في سبيل عضدهم ايام المرض والفاقة والشيخوخة وما على الوالدين نحوَ بنيهم بأن يقوموا باودهم وتربيتهم وتهذيب اخلاقهم . كذلك للقريب وان غريباً حقوقٌ حرامٌ ان تُهضَم فعيتُهُ لا يزّق ظلماً وماله لا يُبتَلَعُ جوراً وحياتُهُ لا يقترِبُهُ اياها الّا الله والسلطة الشرعية اذا ما ارتكب اثماً فظيماً يستوجبُ كذا عقاباً . اخيراً على المرء ان يحتفظ بذاته جسداً ونفساً وشرفاً . فحياتُهُ حتى الجسدية ليست له بل لربّه الذي حدّد لكلّ من عباده أجلاً وعليه فالانتحار اثمٌ شنيع يتعدّى به مجترحهُ حقوق ربّه مالك حياته . وبين القوى البشرية مراتب أقامتها الطبيعة وعلى العقل ان يُرشد الارادة الى مراعاتها فالناطق فيّ اسمى منزلةً من الحيوان وعلى ذلك ان يكبح جماح هذا فليس لي ان أنيل جسدي كلّ ما تشتهيه اميالهُ بل الشهمُ من اذا ثارت عليه الاهواء السافلة قاومها مجاهداً جهاد الابطال ومنتصراً للعقل على الجسد فالمنايا ولا الدنايا . والفطين من يستدرك الشرّ فيبتعد عن اسبابه والّا فيتعرّضهِ مجّاناً لخطره يتهوّر في هوّة الخزي والعار (١

وان احبّ القارئ ان يُضيف الى هذه الحقائق غيرها مما لا بدّ للانسان معرفتهُ فلا بأس . اما نحنُ فحسبُنا البيان بالبرهان انّ دون الوقوف على ما ذكرناه من المعارضات الطبيعيّة مصاعب ومشقّات قلّما يتصدّى الناس لمقاومتها . فاما أن يظلّ معظمهم متكبين في غياهب الجهل والحماقة واما أن يهديهم الله الى الحقّ بوحيه او بدون آخر

قلنا : بوحيه او بدون آخر . لأننا لم نكن لنقيّد قدرة ضابط الكل او نحصرها ضمن دائرة لا يستطيع تعالى ان يتعدّاها . فقد كان بوسعه عزّ وجلّ ان يبرأ الانسان اسمى عقلاً وانشط ارادةً فيتمكّن البشر كلّهم من معرفة الحقائق اللازمة لهم دون ان يتعدّوا طورهم الطبيعي . كذلك قديرٌ هو الربّ ان يترك قوانا العقليّة على ما هي الآن فينجدنا بنير الوحي بان يُذلّل المصاعب التي تحول دون سعينا في سبيل احراز

(١ اطلب خطب منسابره Monsabré: *Introduction au Dogme catholique*, T. 1, 6e Conférence, pp 172 - 173.

المعارف الدينيَّة اللازمة او ان يسهر علينا بعنايةٍ اعظم من التي ألفيناها في حالتنا الحاضرة الَّا انَّهُ تبارك حكمتُهُ ورحمتهُ لم يفعل لأسبابٍ ليس للعبدِ ان يناقش معبودَهُ الحسابَ عنها فالربُّ حرٌّ يصنع ما يشاء. وليس نظرُنا هنا الى الممكنات ولكن الى الموجودات فلا نعتبر انساناً مجرَّداً وهميًّا لم يوجد قطّ وألَّم يستحل وجودهُ في حدّ ذاته وانما موقفنا بازاء الجنس البشريّ على ما هو فعلًا تتراوحُ درجاتِ قوى افراده العقليَّة والاختياريَّة الَّا انَّها لا تتجاوز الطورَ الذي يحدُّه لنا الاختبار وليست بمعزلٍ عن الحواجز التي على ما نتحشَّمهُ كلَّ ساعةٍ بامّ العين تمنع معظم بني جلدتنا عن التعمُّق في الدرس والتوغل في البحث

وقصارى القول عديدةٌ شديدة هي في حالة الانسان الحاضرة الصعوبات التي تعرقل سيرهُ في سبيل احراز الحقائق الدينيَّة حتى الطبيعيَّة كافيةً وافيةً . وتلك صعوباتٌ قلَّما ينتصر عليها البشر بما ذُرِّعوا من القوى الفطرية فلا يظفرون اجمعهم بالحقيقة سالمةً من آفة الريب والغرور ما لم يمنّ عليهم ربُّهم امَّا بتعليم من عندهِ واما بعونٍ آخر خارق العادة

تلك هي القضية التي نريد اثباتها هنا ولنا عليها برهانان احدُهما مبنيٌّ على الاختبار النفسيّ والآخر على التاريخ

البرهان الاوّل – عن الاختبار النفسيّ

هو البرهان الذي جاء القديس توما اللاهوتي في خلاصته ضدّ الامم (ك١ ف٢) وعنهُ ننقلهُ هنا لا نزيد عليه الَّا بعض ايضاحات. قال:

لو تُرك العقلُ البشريّ وشأنهُ يستقصي الحقائق الالهيَّة الطبيعيَّة لتحصَّل عن ذلك محذوراتٌ ثلاثة:

(اوَّلها) انَّ معرفة الله تكون (في الحالة الموصوفة) متعسرةً على نفر قليل لأنَّ ايجاد الحقيقة هو ثمرة البحث النيف وعن اجتناء هذه الثمرة يمانعُ الكثيرون لاسبابٍ ثلاثة: اما من الناس مَن يُعدَمون عن ذلك لخللٍ متوطنٍ بمزاجهم وعن هذا يتأتَّى كونُ كثيرين غيرَ اهلٍ للعلم خلقةً فما من جهدٍ يبلغ بهم ذروة المعرفة البشريَّة التي تقوم بمعرفة الله »

فلا يخفى على الخبير المتبصِّر ما للجسم وبنيته والاحوال التي تطرأ عليه من التأثير في قوى النفس. فمِنْ فتىً لبيبٍ ذكيٍّ متوقد الذهن سريع الخاطر راغب في العلوم لا ينال منها نهمتهُ لمرضٍ يكدّه فيُقعده عن الانصباب عليها او اذا صرف عنايته

اليها غير حافل بتوعك صحته وتحول جسمه فربما عاجله الموت فاوقف سيره وقطعه غصناً ربيعياً قبل ان ينضج ثمر عقله . ومن كهل قوي صلب البدن له بنية صخرية يحاكي بها اشد العرين لا طاقة له على التنقيب العلمي لان المادة فيه تغلبت على الروح وكادت تخنق الذهن . فلامثال هذا أن يُلقنوا بالتعليم مما لا ندحة لهم عن معرفته ولكن ليس لهم ان يحاقوا في ابراج الالهيات كيما يمشوا عليها بذاتهم

وما قولك في الموانع الناشئة عن السن والجنس . ذاك الولد ان اصطاد العالم بذاته قبل مقتبل العمر كان نادرة في زمانه ومع هذا فالولد بشر كالكهل له رب عليه ان يعرفه ويعبده . وتلك المرأة هي انسى عاطفة منها ادراكاً . لها رقة القلب والحنان كما للرجل بُعد البصيرة في التفكر وسمو الطالب في الفحص والتنقيب خصها الخالق ولا شك بنصيب وافر من الفهم الا ان الفهم ليس الابتكار فالرجل يبتكر الحقائق والمرأة تُهدى اليها . هذا فيما يغلب وما شذ عن الحكم العام يدعمه لا يدحضه . على ان النساء ايضاً هن عباد لا يستغنين عن معرفة المعبود وعابدهن واجباتهن

وهب القوى العقلية في كل الناس كاملة لا يؤثر فيها شيء من عاهات الجسد ولا من السن والجنس أفيقضى للجميع ان ينقطعوا الى التأمل في الالهيات كيما يقفوا على كنهها . أوليس الانسان روحاً وجسماً معاً . فاذا لو عدل الحباز عن فرنه والفلاح عن محراثه ومذراه والتاجر عن سلعته ورب العائلة عما يُقيت ذويه وكل عن اسباب معيشته وصرفوا همتهم الى التنقيب والتدقيق أفيتم اذ ذاك للبشر هناء أو عيش ؟ هذا هو السبب الثاني الذي ذكره القديس توما قال :

٢) ومنهم من تمنعهم (عن البحث الشخصي) الحاجة العائلية لانه ينبغي ان يكون بين الناس من يكبون على ادارة الزمنيات فلا يقدرون ان يصرفوا من الزمان قدراً يتوفقون به الى التوغل حتى الدرجة العليا من الاستقصاء البشري اعني معرفة الله

٣) ومنهم من يُقعدهم الكسل اذ ان معرفة ما العقل ان يتقصاه عن الله تقتضي الوقوف السابق على امور كثيرة فان النظر الفلسفي انما يكاد كلهُ يرمي الى معرفة الله ولذا فان علم ما وراء الطبيعة الذي مداره على الالهيات هو آخر ما يُتعلم من اجزاء الفلسفة

وعليه فلا يمكن البلوغ الى استقصاء الحقيقة المذكورة الا بالتعب الشديد وهذا التعب قلما يتحراه الناس حباً بالعلم رغماً عما غرس الله في العقول من الميل الفطري اليه

(المحذور الثاني) : ان اولائك الذين يتوصلون الى معرفة او ايجاد الحقيقة المذكورة

انما ينالونها بالكدّ بعد زمن طويل وذلك اما بسبب ما طرأت هذه الحقيقة من التواضع التي لا يتأهّل لها الادراك بطريق التعقّل الّا بعد التمرّن المديد. واما لما تقتضيه من سابق المعرفة لامور كثيرة على ما قدّمنا. واما لأنّ النفس في زمن الشباب تتنازعها الاهواء بحركاتها فليست قابلة لمعرفة حقيقة سامية وانما تصبر فطنة حكيمة بالتأني والراحة على ما قال (ارسطو) في كتاب الطبيعيات السابع. وعليه فلو كان العقل هو الطريق الوحيد الذي يؤدي الى معرفة الله لَلَبِث الجنس البشري متسكّعاً في دياجير الجهالة لأنّ معرفة الله التي بها للبشر غاية الكمال والصلاح لم تكن اذ ذاك حصلت الّا للقليلين ولم تكن حصلت لهم الّا بعد الزمن الطويل

« المحذور الثالث » هو توارث اعتراج الضلال والهتان بالمباحث البشريّة ذلك اضعف عقلا واختلاط الاوهام وعليه فيظلّ كثيرون متردّدين حتى في الامور الثابتة على البراهين الصحيحة الراهنة لانهم يرَون الذين يُدعَون حكماء متفرّقين كلٌّ يذهب مذهبهُ »

وهو بعض السبب في كون ما لايتمكن البشر من الالمام به بذاتهم لا يتوفقون اليه بتعليم ينجدهم به جهابذتهم على ما تبيّنهُ لك في البرهان الثاني

« هذا فضلا عمّا قد يشوب حقائق كثيرة من البطل الذي لا يُثبَت بدليل راهن بل نحتم به عن سبب أرجحيّ أو سفسطائي ربّما أُنزل منزلة البرهان الصحيح

ومن ثمّ فلا بدّ من الايمان سبيلاً للبشر كيما يبدو لهم التأكيد ثابتاً والحقيقة خالصةً فهي سلامتنا اذا توخّاها الله بلطفه اذ امرنا ان نؤمن حتى بما للعقل قدرة على استقصائه كيما يتيسّر للجميع ان يعرفوا الامور الالهيّة معرفةً سالمةً من الريب والضلال

ولهذا السبب قد قيل: « لا تحاكموا فيما بعد كما يسأل الامم ببطل بصائرهم الذين أظلم فهمهم وتغرّبوا عن حياة الله لاجل الجهل الذي فيهم وعمى قلوبهم (افس ٤ : ١٧ : ١٨)

*

البرهان الثاني – عن التاريخ

الى هذا البرهان اشار القديس توما في النص الكتابي الذي ختم به الفصل المورَد له انفاً. والحقّ يُقال انّ من تصفّح التواريخ القديمة وتتبّع بعين الروّية والانصاف اثار الامم التي انجبت عنها انوار الوحي الالهي يتحقق امرين: (اولهما) انّ تلك الامم تهوّرت في الاضاليل الدينية اقبحها واخبثها. (والثاني) انّ هذا الصدع لم يتمكّن من رأيه فلاسفتهم مهما علت حكمتهم واتسعت وعليه كان لا بدّ من الوحي الالهي لانتشال البشر من هاوية الغرور والغواية. واليك بعض التفصيل :

(اولًا : ذكر اضاليل الوثنيين) راجع الفصل الاوّل من رسالة القديس بولس الى اهل رومية فانك وان ضربتَ صفحاً عن كونها سفراً منزلًا واعتبرتها كشهادة تاريخية محضة ترى عجباً من البطل والقباحة في آراء الامم ومذاهبهم ومسالك سيرهم

وقد كان الرومان والاغريق من الذين نبغوا في العلوم والفنون ومع ذلك لم يسلموا هم ايضاً من التيه والجهل في الامور الدينية بل تمادوا في غيّهم وتعمّهوا في سكرتهم من ذلك:

١ انهم سخّروا حقيقة اللاهوت وقبّحوها ففي ذيّاك العالم المتمدّن نبت الاشراك وفيه عاث الزنادقة المتنوّرون الذين ذهبوا انّ للخلق مبدأين احدهما روحيّ صالح والآخر مادّيّ طالح وفي العالم نفسه انتشرت الوثنية واتسع نطاقها حتى كادت تشمل المسكونة قاطبةً حيث سجد الانسان الناطق العاقل للجمادات والبهائم وأله الكواكب والنجوم والنبات والشجر ونحتَ له معبوداتٍ من الخشب والحجر والفضة والذهب وسائر المعادن. قال الشاعر هوراس بلسان احد الاتصاب ممازحاً: « قد كنتُ فيما سلف جذلَ تينةٍ وساقَ خشبٍ لا يجدي نفعاً فاختارَ النجّات في امري ولم يدرِ أيجعلني دكّةً ام صنماً لبريابس (الاله Priapus) ثمّ تخيّرني الفاً فالهٌ اذًا انا » . (١ وليس بمنكر انّ من المشركين من اقرّوا بربوبية إلهٍ واحد فجعلوه فوق سائر الآلهة متساميًا عليهم غير انّهم اخضعوهُ للقدَر لا يستطيع ان يحيد منهُ بشيءٍ على ما يتضح لك من اقوال فلاسفتهم وشعرائهم منها قول سينيكا في الربّ الاعظم (٢ : « انهُ دائمًا ابدًا خاضعٌ. انما فاهَ بالاوامر مرّةً واحدة » وقد اشار بهذا انّ الله مقيّدٌ بالاقدار لا يمكنهُ ان يغيّر فيها شيئاً. تعالى ربُّنا عن ان يوضع حدٌّ لمشيئتهِ فهو القدير يقدر ما يشاء. كذلك زفس (Jupiter) في الالياذة يحكم باندحار الاغريق عن عمى ولمجردِ ما رجحت كفّة قسطاس الاقدار التي كان خصمها بهم . قال هوميروس يصف هذا القضاء (٣ :

وعند انتصاف الشمس في كبد السما ... لقسطاسه التجريّ قامَ محرّرا

وألقى بهِ قدحين للموت والشقا ... لكلٍّ منَ الفريقين سهماً محتّما
فسهمُ بني الاغريقِ مال الى الثرى ... وسهمُ بني الطرواد للجوّ حلّقا
فارعدَ من الطوادِ ايذا هديدُهُ ... وما بينَ ذرّاعِ الاغاريقِ ابرقا

---

١) اطلب ديوانهُ (Horacius, *L. I, Sat.* 8)
٢) راجع كتابهُ (De Provident. 5)
٣) الياذة هوميروس ترجمة س . البستاني ص ٥٢٠ و٥٢١

فهذَعُمُ من شدّةِ الهول رِعْدَةٌ واجدرُم بالبطشِ ولّى وأدبرا

وزدْ على ذلك ما كان يُنسب الى الآلهة من العيوب والرذائل كأنها لجأت الى ناديهم حصناً منيعاً ترتع فيهِ وتتنعّم ولا رادع ولا لائم بل كما أننا نحن المسيحيين اخترنا لنا من اولياء الله شفيعاً لكل فضيلةٍ نزيدُ احرازها كذلك المشركون اقاموا من الآلهة حامياً لكل رذيلةٍ ولم يخجلوا ان ينصبوا الهياكل لبعل السكر والاغتصاب والدعارة والمسافحة والقظاظة والظلم والاختلاس والكذب الخ. ولذلك كان الشاعر اوفيديوس يحذّر على العذارى دخول معابد زحل لئلا يؤول بهنّ مثلُ هذا الاله الى ما لا تُحمد فيهنّ معرفتهُ فضلاً عن فعلهِ ولا يسعنا هنا تعريب بيت الشاعر المذكور بحرفهِ (١ ولدى النابغتين عوميروس وهيزيود من امثال ما ذكرنا كثير لا يجمل بنا سَرْدُهُ هنا (٢

٢ قد طالما انقلبت العبادة لديهم قساوة قلبٍ وفساد اخلاقٍ فانهم كانوا بعض الاحيان يحاولون تسكين غضب آلهتهم بذبائح بشرية ولا حاجة الى وصف بعض اعيادهم التي كانوا يحتفلون بها اكراماً لمعبوديهم وبئس الاكرام وقوامهُ خلع العذار وهتك ستر الحياء. هذا في العبادة الخارجية امّا الباطنية فقلّما فطنوا لما تستوجبهُ من التديُّن الحقّ الذي لم يألفوهُ ولم يعهدوهُ فلا تعجبنّ من استفهام كوتّا (Cotta) الانكاري لدى شيشرون (٣ وقال ارسطو (٤ : « من الخلف ان يقول احدٌ انهُ يحبّ زحل »

٣ ولا بدع اذا كان الوثنيون بكذا اعتقادٍ ودين لا يقدّرون ذاتهم ولا بني جلدتهم بحقّ قدرهم. اجل قد كانوا يراعون بعض المراعاة حقوق القريب بينهم بيد انهم لم يحتسبوا قريباً لهم الّا من جمعتهُ واياهم صلاتُ الوطن الواحد امّا سائر

---

١) اطلب كتاب شيشرون في طبيعة الآلهة (٢ : ٢٤ وما يليهِ) والقديس اغوسطينوس في مدينة الله (٦ : ٦) وارنوبيوس (Arnobius) في مؤلفهِ ضدّ الامم (٤ : ١٨ وما بعده)

٢) اطلب المعجم الثاني في ذيل تعريب الالياذة ص ١١٦٥ — ١١٦٨

٣) De Natura Deorum, III, c. 36

٤) في الادبيّات الكبرى ٢ : ١١

البشر فلم يكن لهم حقوق في اعينهم وهم في حسابهم اعداء وعبيد يُتهنون ويقاسون عذاباً ويسامون خسفاً وذلاً. ومما يرفع قدر الانسان في اعتباره خلود نفسه الحيَّة على انَّ الاعتقاد بهذه الحقيقة بالرغم عمَّا في طبيعتنا من الميل الشديد اليه لم يكن لدى الفلاسفة الشركين ثابتاً متيناً سالماً من شائبة الريب. فقد خالج الشكُّ فيه جهابذة فلاسفتهم منهم شيشرون (١ وتشيتوس (Tacite) (٢ وافلاطون (٣ ومنهم من نفى خلود النفس بتاتاً كالطبيعي بلينيوس (Pline) الاصغر (٤

٤ واما ما بنوا على هذه المبادئ النظرية من النتائج العمليَّة الادبيَّة مما يحجهُ العقل السليم فحدِّث عنهُ ولا حرج. يقشعرّ البدن عند تلاوة ما اثبتهُ القديس بولس في رسالتهِ الى رومية من عوائد الامم (٥ على انَّ ما رواهُ الرسول المذكور حتى في اعتبار العقل المجرَّد لم يبالغ بهِ قطّ فتلك لعمرُك حقائق تاريخيَّة راهنة يدعمُها نفس المؤرخين الوثنيين بشهاداتهم ويؤيدها حكماء الامم بتعاليمهم. ذاك افلاطون جعلَ في مملكته كلَّ شيء حتى العرضَ مشاعاً بل بالغ بهِ الضلال الى حدّ أن اجاز عَرْض الاطفال الذين يولدون بعاهة وقد حرَّم السكرَ الَّا في اعياد ذيونيس (Bacchus) اله الخمرة (٦

*

(ثانياً) ولا مشاحَّة انَّ الحكماء مهما تبغروا غير قادرين على تجدة الشعب وانقاذه من غيّهِ. اجل قد كانت ولم تزل الشهرة الطائلة للفلاسفة الاقدمين عموماً واليونانيين منهم خصوصاً بل قد خلَّفوا من الآثار ما يُذكر حتى اليوم فيُشكر ومع هذا لم يُرشدوا الشعب الى الحقّ والعدل والصلاح فانهم لم يستطيعوا ذلك ولم يبتغوه.

(ب) اما كونهم عجزوا عن هذا المطلب فممَّا يدلُّ عليهِ انهم لو حاولوا تعليم الشعب الحقّ لوجدوا ان يُجيبهم بالمثل السائر: ايها الطبيب اشفِ نفسك. والحقّ يقال انَّهُ ليس من

١) في كتابهِ Tuscul., l. II, c. 11
٢) في تاريخهِ Agricolæ Vita, n. 46
٣) في دفاعهِ عن سقراط Apol. Socr. n. 32
٤) في تاريخهِ الطبيعي Nat. Hist. l. VIII c. 55
٥) رو ١: ٢٦ وما يليه
٦) اطلب شيشرون (De Natura Deorum, l. I, c 28) والمؤرخ اللاتيني سالوست (Bell. Catilin., c. 12 - 13)

حكيم نبغ فيهم الا وخلط الغث بالسمين واركن الى الآراء الفاسدة. فكلهم اعتقدوا ازلية المادة وما من واحد بينهم صرّح تصريحاً بحقيقة الخلق. وقد بسطنا فيما سبق مزاعمهم الباطلة في النظر والادب وزد على هذا ارتياحهم جميعاً في ماهية اللاهوت على ما اقرّ به احد المعجبين بهم شيشرون قال (١ : ٥ اغلب الحكماء قالوا بوجود الآلهة وقد شكّ فيه بروتاغوراس (Protagoras) ونفاه بتاتاً دياغوراس (Diagoras) وتاوذوروس. واما الذين حكموا بوجود الآلهة فقد بلغوا من الاختلاف والتنازع فيما بينهم ما يؤول به تعداد مذاهبهم الى الاسقام. فكيف يعلّم غيرهم اولئك الذين اما جهلوا الحقيقة واما ارتابوا بها واما لم يحرزوها خالصة من الغرور (٢

ثم من اين لاولئك الحكماء الكفاءة لاقناع الشعب بما يخالونه حقاً وأيّ سبيل لهم الى عقولهم ؟ أفيقصدونها عن طريق البرهان ؟ اعلم انك لطريق وعر السالك لا يؤدي بهم الى اقناع السذج وهؤلاء على ما تعلم هم اكثر انقياداً لما يُثير فيهم الاهواء منهم لما يُنير البصائر واكثرهم عاجزٌ عن ان يفقه الحجج قوةً او ان يتبع لها سياقاً. ثم يسطو الفلاسفة على الأمنيين بما ربنا الهم سامي علمهم من السلطة فحيث لا تنفذ قوة البرهان يأمرون بالايمان الاعمى ؟ وأنى لهم تلك السلطة وهم دائماً ابداً متشتتون شذر مذر لا يتفقون على رأي ينفي الواحدُ منهم ما جزم به الآخر ؟ والشعب وإلم يتوقف الى فهم براهينهم لا يصعب عليه الالمام بنازعاتهم فتأخذه الحيرة لا يدري الى ايّ من احزابهم ينتمي فيختار الحياد لا يعتنق مذهباً دون غيره. وهب الحكماء هؤلاء اجمعوا على تعليم واحد ولو في بعض الامور فلا يتسنّى لهم ارشاد الشعب الى سواء السبيل ذلك لانّ الاعمال خصوصاً في موضوع الادب والدين انطقُ من الاقوال فاذا كانت الاعمال تكذّب الاقوال اضحت هذه لا قوة لها ولا نفوذ. ومعلوم انّ سيرة الفلاسفة لم تكن طبق تعليمهم (٣

٢) ولم يكن الفلاسفة عاجزين فقط عن تعليم الشعب لكنّهم ايضاً لم يريدوه

---

١) De Natura Deorum, l. I, c. 1

٢) اطلب القديس اغوسطينوس في كتابه مدينة الله (١٨ : ٤١)

٣) اطلب شيشرون: Tuscul., l. II, c. 4

ولم يتوخوهُ قطُّ غايةً وقد شهد بهذا احدهم شيشرون اذ قال (١ : « تكتفي الفلسفة بما قلَّ من المرتبتين فهي تهربُ من الجمهور عمداً والجمهور يتريَّب منها ويبغضها ». ولذلك كان ارباب يقنعون بعددٍ زهيدٍ من الاتباع والتلاميذ ويجاهرون على رؤوس الملإ بوجوب جهل الشعب لامور كثيرة واما العقائد الدينية فلا يجوز في رأيهم ان يلحقها ادنى تغيير مهما كانت باطلة كاذبة ومن تعرَّض لابدالها او لاصلاح خللها تظهر في اعينهم جاهل احمق

ومن اجل هذا لم يُقدموا على رذل خرافات الشعب علناً وان هزأوا بها باطناً بل غالباً ما تظاهروا باعتقادها فتقدَّموا الذبائح للآلهة الكذبة وتعبدوا لهم بما سجَّنهُ حكمتهم ولم يسلم الذين برَّزوا فيهم من جناتهم هذه . ترى منهم سقراط اذ قربت ساعة موته يسأل اصدقاءهُ ان يذبحوا عنهُ لاسكولاب . وافلاطون يبتّ بوجوب الاحتفاظ بدين الوطن وان باطلاً (٢ وشيشرون على الرأي ذاته (٣

وليس الذين اعتزلوا الوحي من فلاسفة عصرنا اوفى حظاً من سلفائهم الوثنيين ولا اقدر منهم على انارة الشعب وارشاده وقد هبطوا مثلهم في اقبح الاضاليل على ما لخصناه سابقاً (٤

والحاصل انَّ الجنس البشري قاصرٌ عن ان يحرز ذاته بذاته الحقائق الدينيَّة والادبيَّة التي لا بدَّ لهُ من معرفتها كيما يمجِّد خالقه ويسير بما يليق به ويعدل عمَّا يحطّ من شأنه ولذلك فقد ضلَّ المتعاقلون اذ زعموا أنَّ الوحي لا فائدة منهُ وقد بانت لك ضرورتهُ فضلاً عن منفعته

ومما يؤيِّد نتيجتنا هذه شهادة الديانات المختلفة المنتشرة في العالم فانَّ اغلبها ان لم نقل كلها تستند الى الوحي الصحيح او الفاسد . وان كانت البوذيَّة في اصلها وعلى ما انشئها الاول لا تنتمي الى الله واحياً فلا شكَّ انَّ اتباع بوذا اقروه واحتسبوهُ وسيطاً بين الربِّ الاعظم والبشر

---

١) Tuscul., I II, c. 1

٢) في محكمته (ك ٤)

٣) De Divin., l. II, c. 24

٤) ص ٢٦٢ — ٢٦٦

فهو الضلال اذن يضيف صوتهُ الى صوتِ الحقّ وينادي بضرورة الوحي وكأنّي بالانسانيّة جمعاء شاخصة الى السماء رافعة اكفّها الى الله تسألهُ الوحي او تحمده عليهِ فالذين لم تُشرق عليهم شمسهُ يصرخون بلسان ضلالهم وفسادِ عيشهم : « أقطري ايتها السماوات من فوق ولتُسطر الغيوم الصدّيق (١ » ليُضيءَ الجالسين في الظلمة وظلال الموت ويُرشد اقدامنا الى سبيل السلامة (٢ » واما الذين افاض الله عليهم انوار كلمتهِ المتجسّد فنشيدُهم نشيدُ الشكر والثناء عليهِ تعالى وعلى ابنه الوحيد الذي ارسله اليهم مرشداً هادياً بذكرهِ ينشدون هاتفين: « هو شمنا لابن داود مباركٌ الآتي باسم الربّ (٣ » وعنهُ حديث الآباء منهم للبنين اذ يقولون لهم: « اما النعمة والحقّ فبيسوع المسيح حصلا. الله لم يرهُ احدٌ قطّ . الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو أخبر (٤ »

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الخامس

في الامثال العربيّة المنقولة عن الاسفار المقدسة (تتمة)

٣ وبين امثال العرب في الجاهليّة واوّل الاسلام ما هو منقول بحرفهِ او بمعناه من الكتب المقدسة . فدونك ما اخذوهُ عن اسفار العهد القديم

بين الامثال التي رواها الميداني في مجموعهِ (طبعة بولاق ٢ : ٢٢٩) قولهم : « المرأة من المرء وكلّ ادماء من آدم ». واردف : « ويقال انّ هذا اوّل مثل جرى

---

١) اش ٤٥ : ٨ ٢) لو ١ : ٧٩

٣) مت ١١ : ٩ ٤) يو ١ : ١٧ — ١٨

فهو الضلال اذن يضيف صوتهُ الى صوتِ الحقّ وينادي بضرورة الوحي وكأنّي بالانسانيّة جمعاء شاخصة الى السماء رافعة اكفّها الى الله تسألهُ الوحي او تحمده عليهِ فالذين لم تُشرق عليهم شمسهُ يصرخون بلسان ضلالهم وفسادِ عيشهم : « أقطري ايتها السماوات من فوق ولتُسطر الغيوم الصدّيق (١ » ليُضيءَ الجالسين في الظلمة وظلال الموت ويُرشد اقدامنا الى سبيل السلامة (٢ » واما الذين افاض الله عليهم انوار كلمتهِ المتجسّد فنشيدُهم نشيدُ الشكر والثناء عليهِ تعالى وعلى ابنه الوحيد الذي ارسله اليهم مرشداً هادياً بذكرهِ ينشدون هاتفين: « هو شمنا لابن داود مباركٌ الآتي باسم الربّ (٣ » وعنهُ حديث الآباء منهم للبنين اذ يقولون لهم: « اما النعمة والحقّ فبيسوع المسيح حصلا. الله لم يرهُ احدٌ قطّ . الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو أخبر (٤ »

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الخامس

في الامثال العربيّة المنقولة عن الاسفار المقدسة (تتمة)

٣ وبين امثال العرب في الجاهليّة واوّل الاسلام ما هو منقول بحرفهِ او بمعناه من الكتب المقدسة . فدونك ما اخذوهُ عن اسفار العهد القديم

بين الامثال التي رواها الميداني في مجموعهِ (طبعة بولاق ٢ : ٢٢٩) قولهم : « المرأة من المرء وكلّ ادماء من آدم ». واردف : « ويقال انّ هذا اوّل مثل جرى

---

١) اش ٤٥ : ٨ ٢) لو ١ : ٧٩

٣) مت ١١ : ٩ ٤) يو ١ : ١٧ — ١٨

للعرب » . وهو منقول عن سفر التكوين (٢ : ٢٣) حيث روى موسى كيف خلق الله حوّاء من ضلع آدم فقال : « هذه تسمّى امرأةً لأنّها من امرئ أُخذتْ »

ومنها مثلهم (م ١ : ١٣) : « ان لم يكن وِفاق فَفِراق » ينظر الى قول ابراهيم الى لوط في السفر المذكور بعد نزاع حصل بين رعاتهما (١٣ : ٨ — ٩) : « لا تكن خصومة بيني وبينك انّا نحن رجلان اخوان . اعتزل عني اما في الشمال فأتيامن عنك واما الى اليمين فأتياسر »

ومنها قولهم (م ١ : ٢١٣) : « خيرٌ قليل وفضيحتُ نفسي » لا يبعد عن قول يوناثان لمّا اراد ابوهُ شاوُل ان يقتلهُ لقليل من عسل ذاقهُ وقت الحرب (١ ملوك ١٤ : ٤٣) : « ذُقتُ ذوقاً برأس العصا قليلَ عسلٍ وهاءنذا اموت »

ومن امثالهم لمن يسهو عن الحديث (م ١ : ٤٠) : اليك يُساقُ الحديث » فكأنهُ ترجمة قول ناثان النبي لداود (٢ صم ١٢ : ٧) بعد ان عرض عليهِ مثل الغني المضحّي لشاة الفقير : « انت هو الرجل »

ومنها ايضاً (م ٢ : ٨٤) : « كلّ امرئ فيهِ ما يُرمى بهِ » هو كآية سفر الملوك الثالث (٨ : ٤٦) : « ليس انسانٌ لا يخطئ » وكذلك ورد في سفر الجامعة (٧ : ٢١) : « ليس من صدّيق على الارض يصنع خيراً بغير ان يخطأ » . ويشبههُ قول السيّد المسيح في الانجيل (مرقس ١٠ : ١٨) : « لا صالح الّا الله وحدهُ »

وممّا رُوي بين امثال علي[1] (١ (ص ٨) : « جُدْ بما تَجِدْ » فهو مثل قول طوبيّا (٤ : ٨) يوصي ابنهُ : « تصدَّق من مالك . ان كان لك كثير فابذل كثيراً وان كان لك قليل فابذلْ عن نفس طيّبة »

ومن امثال العرب في اليدانى (٢ : ٢١٥) : « المنيّة ولا الدنيّة » نظمهُ الحريري فقال :

المنايا ولا الدنايا وخيرٌ من ركوب المنى ركوبُ الجنازة

وقد سبق العازر الشيخ فقال في سفر المكابيين الثاني (٦ : ٢٣—٢٧) : « اسبقُ

---

١) نشير الى مجموع امثاله الذي طُبع في اوكسفرد سنة ١٧٩٦ : Corn. van Waenen
Sententiæ Ali ebn Abi Taleb

الى الجحيم ... ولا اجلب على شيخوختي الرجس والفضيحة »

وقالوا (م ١ : ٩٢) : « البطنة تأفن القطنة » ومثلهُ قول علي : « البطنة تذهب بالفطنة » وقد قال النبيّ هوشع قبلًا (٤ : ١١) : « الزنى والخمر والسلاف تستهوي القلب »

وروى الميداني (١ : ٥) للعرب : « ان كنتَ ريحًا فقد لاقيت اعصارًا ».

ومثلهُ لهوشع ايضاً (٨ : ٧) : « انهم يزرعون الريح ويحصدون الزوبعة »

ولهُ (م ٢ : ٢٠٣) عن لسان احد الاعراب لكلبه : « مالك لا تنبح يا كلب الدوم قد كُنتَ نبّاحاً » وجاء في نبوءة اشعيا (٥٦ : ١٠) الى رقباء بني اسرائيل : « انَّ رقباءهُ كأنهم كلاب بُكم لا يستطيعون النباح »

ومن امثالهم في من لا يميز الخير من الشرّ (م ٢ : ١٨٦) : « ما يعرف قبيلًا من دبير » او : « ما يعرف الحوَّ من اللوّ » وجاء قبلهُ عن لسانه عزَّ وجلَّ في سفر يونان (٤ : ١١) : « افلا اشفق انا على نينوى المدينة العظيمة التي فيها اكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس لا يعرفون يمينهم من شمالهم »

ومما ورد بين امثال علي (ص ٨٦) : « طعنُ اللسان امضى من جرح السنان » سبق اليهِ النبي داود في مزاميره (٥٦ : ٥) عن المنافقين : « أسنانهم اسنّة وسهام والسنتهم سيوف حادّة »

ومنها ايضاً قولهُ (ص ١٦) : « زينة الباطن خير من زينة الظاهر » فكأنهُ نظر الى قول صاحب المزامير في وصفهِ للملكة السرّية (مز ٤٤ : ١٤) : « بنت الملك جميع مجدها في الداخل »

وللعرب عدّة امثال في الاخاء والصداقة فيقولون (م ١ : ٦٣) : « انَّ اخاك من آساك » ويقولون (م ١ : ٤٢٢) : « عند الامتحان يكرم المرء او يهان » ويقولون ايضاً : « عند النازلة تعرف اخاك » ومثلهُ قول علي (ص ٢) : « اخوك من واساك في الشدّة » وقول اكثم بن صيفي (العقد الفريد لابن عبد ربه ١ : ٣٢٨) : « اخوك من صدقك » وقولهُ : « خير اهلك من كفاك » وقول الشاعر :

فما اكثر الاصحاب حين تعدُّهم ولكنَّهم في النائبات قليلُ

فهذه كلها كالآية الواردة في سفر امثال سليمان (١٧ : ١٧) : « الخليل عند

الضيق يُضحي اخاً » وكقوله (١٨ : ٢٢) : « رُبَّ صديقٍ اقرب علاقةً من الاخ » وقوله (٢٧ : ١٠) : « جارٌ قريبٌ خيرٌ من اخ بعيد » وقول ابن سيراخ (١٢ : ٨) : « لا يُعرف الصديق في السرّاء ولا يُخفى العدوّ في الضرّاء »

ومن امثال العرب عن المشابهة بين الاقران والاخلّاء قولهم (م ٢ : ١٩١) : « المرء بخليله » اي متيسٌ بخليله قال الميداني : « يروى عن النبيّ صلعم » ومثلهُ املي (ص ٨) : « جليس المرء مثلهُ » وله (ص ١٠) : « خليل المرء دليلُ عقلهِ » . وله (٣٠) : « قرين المرء دليل دينهِ » ولطرفة الشاعر في معلّقته :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينهِ فكلُّ قرينٍ بالمقارَن يقتدي

وكلّ ذلك في معنى قول سليمان (امثال ١٣ : ٢٠) : « مسايرُ الحكماء يصير حكيماً ومؤانسُ الجهلاء يصير شريرًا »

ومّما قالوا في حفظ اللسان (م ٢ : ٢١١) : « من أكثر أهجرَ » وقالوا (م ١ : ١٤) : « انَّ البلاء موكّل بالمنطق » وقالوا (م ٢ : ١٨١) : « مقتل الرجل بين فكّيه » وقول عليّ : « بلاء الانسان من اللسان » وقوله : (ص ٢٠) : « صلاح الانسان في حفظ اللسان » وقد قال قبلهم سليمان في امثاله (١٠ : ١٩) : « كثرة الكلام لا تخلو من زلّة ومَنْ ضبط شفتيه فهو عاقل » وقال (١٣ : ٣) : « مَن ضبط فاهُ صان نفسهُ ومن فتق شفتيه لحظهُ الدمار » وقال (١٨ : ٧) : « فم الجاهل دمارهُ وشفتاهُ شركٌ لنفسهِ » . وقال (٢١ : ٣٢) : « من يحفظ فاهُ ولسانهُ يحفظ من الضايق نفسهُ » وللقديس يعقوب في رسالته (٣ : ٢) : « ان كان احد لا يزلّ في الكلام فهو رجل كامل » فكأنّ الشاعر عقد هذه الامثال فقال :

احفظ لسانك أيها الانسانُ لا يلدغنّك انهُ ثعبانُ
كم في المقابر من قتيل لسانهِ كانت تهابُ لقاءهُ الشجعانُ

ومن امثال عليّ (ص ١٨) : « سموّ المرء التواضع » فهو على شبه قول سليمان امثال (١٥ : ٣٣) « قبل المجد التواضع »

ومن امثال العرب : « كل طير يأوي الى جنسهِ وقد سبق ابن سيراخ (١٣ : ١٩) فقال : « كل انسان يحب قريبهُ وكل حيوان يحب نظيرهُ »

وروي بين امثال علي وغيره من العرب قولهم : « رأس الحكمة مخافة الله »

واوّل من قال ذلك بلفظه داود في مزاميره (١١٠:١٠) وابن سيراخ (١:١٦). وروى سليمان في امثاله (١:٧) : « مخافة الرب رأسُ العلم »

ومن امثالهم (م ١:٩) : « انَّ الحديد بالحديد يُفلَح » او (م ٢:١٥٢) : « لا يفلُّ الحديدَ الّا الحديد » نظمهُ الشاعر فقال:

قومُنا بعضُهم يفلُّ بعضاً لا يفلّ الحديدَ الّا الحديدُ

وكان سليمان قد قال (امثال ٢٧:١٧) : « الحديد يصقل الحديد »

ويقول العرب (م ١:١٢٧) : « تضرَّع الى الطبيب قبل ان تمرض » كانهم اخذوهُ من قول ابن سيراخ (٣٨:١) : « اعطِ الطبيب كرامتهُ لاجل فوائده (اي وقت المرض) »

ومن امثال العرب (م ٢:٢٢) : « في التجارب علمٌ مستأنف » وكان ابن سيراخ قال (٣٤:١٠) : « الذي لم يختبر يعلم قليلاً »

وكذلك قالوا في النظر الى العواقب (م ٢:٢٢) : « في العواقب شافٍ او مُريح » ومثلهُ قولهم (م ٢:١٢٨): ليس للامور بصاحب من لم ينظر في العواقب » سبق ايضاً اليهِ ابن سيراخ قائلاً (٧:٤٠) : « في جميع اعمالك اذكر عواقبك فلن تخطأ الى الابد »

ومن امثال العرب (م ٢:٢٠٤) في الاستشارة: « ما هلك امرؤ عن مشورة » قالهُ ابن سيراخ (٣٢:٢٤) : « لا تعمل شيئاً من غير مشورة فلا تندمَ على عملك »

ويقول العرب في امثالهم (م ٢:٢١١) : « من حفر مغواة وقع فيها » ومثلهُ لحسّان بن ثابت (حماسة البحتري ص ٧١) :

وكم حافرٍ حفرةً لامرئٍ سيصرعهُ البغيُ فيها امتغَرْ

وكان داود قال في مزاميره (٧:١٦) يصف الشرير : « حفر بئراً وحفرها فسقط في الهوّة التي صنع » ولسليمان ابنهِ (امثال ٢٦:٢٧) : « من يحفر هوّة يسقط فيها » راجع ايضاً سفر الجامعة (١٠:٨) وابن سيراخ (٢٧:٢٩)

ولا يبعد ان يكون قول العرب في الخيبة (م ٢:٨٠) : « كالقابض على الماء » منقولاً عن امثال سليمان (٢٧:١٦) : « انما يضبط على الريح ويقبض بيمينهِ على زيت »

٤ وكما اخذ العرب كثيرًا من امثالهم عن اسفار العهد القديم كذلك رووا عدة امثال عن اسفار العهد الجديد ولاسيما الانجيل الطاهر

فمن ذلك مثل لعلي (ص ٢) : « أحسن الى المسيء تسُد » فهو صدى ضعيف لقول الرب في متى (٥ : ٤٤) : « أحسنوا الى من يبغضكم لتكونوا بني ابيكم الذي في السموات »

ومثلهُ المثل الذي رواهُ ابن قتيبة في عيون الاخبار : « اجلُم تَسُد » فانهُ كقول الانجيل (متى ٥ : ٤) : « طوبى للودعاء فانهم يرثون الارض »

وروى الميداني في امثالهِ (م ١ : ٢٩٧) : « استَحِ يُستَح لك » وكذلك روى ابن عبد ربه (١ : ٣٢٨) بين امثال اكثم بن صيفي : « أحسِن يُحسَن اليك » وكلاهما كقول الرب في لوقا (٦ : ٣٨) : « أعطوا تُعطَوا » . ومثلهُ قول اكثم ايضاً : « إرحم تُرحَم » وقولهُ : « من بَرَّ يوماً بُرَّ به » نُقل عن تطويبات الرب (متى ٥ : ٧) : « طوبى للرحماء فانهم يُرحَمون » وكان سليمان قال في امثالهِ (١١ : ١٧) : « ذو الرحمة يحسن الى نفسهِ »

ومن اقوال الرب الشهيرة (متى ٧ : ٧—٨) : « اسألوا تُعطَوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يُفتَح لكم لأنَّ كل من يسأل يُعطَى ومن يطلب يجد ومن يقرع يُفتح لهُ » اخذهُ العرب فقالوا في امثالهم (م ١ : ٣٠٢) : « سائلُ الله لا يخيب » وقالوا (م ١ : ٣٨٣) : « اطلب تظفَر » وقالوا (م ٢ : ٢٢٦) : « من طلب شيئاً وجدهُ » وقالوا (م ٢ : ٤٧) : « اقصدي تصيدي » وكذلك نظم صالح بن عبد القدوس هذا المثل فقال (حماسة البحتري ص ١٣٤) :

من يَسَل يُنطَ ومن يستفتح الباب يَفتَحهُ طيبٌ او سريحُ

ومن اقوال المسيح ايضاً (متى ٧ : ١—٢ ولوقا ٦ : ٣٧) : « لا تدينوا لئلَّا تُدانوا فانكم بالدينونة التي بها تدينون وبالكيل الذي بهِ تكيلون يكال لكم » . فقد اخذهُ العرب بلفظهِ كما رواهُ الميداني (٢ : ٨٥) ورواهُ ابن عبد ربه (١ : ٣٢٨) للاكثم بن صيفي . وروى في التاج (٩ : ٢٠٧) لحويد بن نوفل الكلابي يخاطب الحرث بن شمر :

يا حارِ أيقن انَّ مُلكك زائلٌ واعلم بأنَّ كما تَدينُ تُدانُ

ومثل الكيل رواهُ الميداني (١ : ١٤٨) على هذه الصورة : « جزيتُهُ كيلَ الصاعِ بالصاع »

وقال الرب (متى ٧ : ٣ ولو ٦ : ٤١) لمن يعيّر غيرهُ داءً يكون في نفسهِ اعظم : « ما بالُك تنظر القذى الذي في عين اخيك ولا تفطن للخشبة التي في عينك » نقلهُ العرب فقالوا (م ٢ : ٨٥) : « كيف تبصر القذى الذي في عين اخيك وتدع الجذع المعترض في عينك »

وقال الرب ايضاً (متى ٧ : ١٦ ولو ٦ : ٤٤) : « هل يُجتنى من الشوك عنب او من العوسج تين » اخذهُ العرب فقالوا (م ٢ : ١٥٢) « لا تجنِ من الشوك عنباً » رُوي لاكثم بن صيفي . وقالوا (م ١ : ٤٣٦) في العجز : « أعجزُ من جاني العنب من الشوك » وقال الشاعر (م ٢ : ١٥٢) :

اذا وترتَ امرءاً فاحذَرْ عداوَتَهُ ... مَن يزرعِ الشوك لا يَحْصُدْ به العنبا

ومن اقوالهِ تعالى (متى ١٩ : ٢٤ ومر ١٠ : ٢٥) : « انهُ لأسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غنيٌّ ملكوت الله » . فاخذه العرب وضربوهُ مثلاً للضيق فقالوا (م ١ : ٣٧٤) : « اضيق من خَرْت الابرة وسمّ الخيّاط » وضربوه مثلاً ايضاً لصعوبة الشيء فقالوا (م ٢ : ١٤٤) : « لا افعل كذا حتى يلج الجمل في سمّ الخيّاط » ومثلهُ في القرآن في سورة الاعراف (٧ : ٣٨) : « لا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سمّ الخيّاط »

وقال في الانجيل (لو ٦ : ٣٩) : « هل يستطيع اعمى ان يقود اعمى أليس كلاهما يسقطان في حفرة » فرووهُ بين امثال علي (ص ١٠٠) على هذه الصورة : « كيف يهدي غيرهُ من يُضلّ نفسهُ »

وكذلك رووا لعلي (٦٦) : « خيرُ الصَّدقة اخفاؤها » وكان الربُّ اعلن في انجيلهِ (متى ٦ : ٣ — ٤) : « اذا عملت صدقةً فلا تعلم شمالُك ما تصنع يمينك لتكون صدقتك في خفيةٍ وابوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك »

ومن امثال الميداني (١ : ٢٧٥) : « رُبَّ زارعٍ لنفسهِ حاصد سواهُ » قالهُ الرب في انجيلهِ (يوحنا ٤ : ٣٧) : « ان واحداً يزرع وآخر يحصد »

وللرب في الانجيل اقوال كثيرة في الصبر كقولهِ تعالى (لو ٢١ : ١٩) : « بصبركم

تَقتنون انفسكم » وقوله (متى ١٠ : ٢٢) : « الذي يصبر الى المنتهى فذلك يخلص ». وقال يعقوب في رسالته (١ : ٤) « العملُ الكامل للصَّبر ». والى ذلك تنظر اقوال العرب (م ١ : ١٣٥) : « ثمرة الصبر نُجح الظفر » وقولهم وهم يروونهُ لاكثم بن صيفي (العقد الفريد ١ : ٣٢٩) : « عواقب الصبر محمودة » وقول عليّ (ص ٨) : « بشِّر نفسك بالظفر بعد الصبر » وقولهُ (ص ٢٠) صَبرك يورث الظفر »

وكذلك التواضع فقد وردت فيه آيات عديدة في الانجيل كقوله (لوقا ١٤ : ١١ و ١٨ : ١٤) : « كلّ من رفع نفسهُ اتَّضع ». وقال القديس بطرس في رسالته الاولى (٥ : ٦) : « اتَّضعوا تحت يد الله القادرة ليرفعكم ». فروى العرب لعليّ قولهُ (ص ٥٨) وهو كاقوالهم : « تواضعْ لربّك يرفعْك ». وقولهُ : « التواضع يرفع والتكبّر يضع » وقولهُ (ص١٠٦) : « من توقَّر وُقِّر ومن تكبَّر حُقِر » ويشبههُ قول سويد ابن ابي كاهل (المفضّليات ص ٣٩٩) :

كتب الرحمانُ والحمدُ لهُ سمةَ الاخلاق فينا والشِّيَمْ
وبناء للعالي اتّخا يرفعُ اللهُ ومن شاء وضَعْ

وعلى شبه هذا قول العرب (حماسة ابي تمّام ١٢٢) : « سيّد القوم خادمهم » وهو عين ما قالهُ الربّ لتلاميذه (لوقا ٢٢ : ٢٦) : « ليكن الاكبر فيكم كالاصغر والذي يتقدَّم كالذي يخدم . . . وانا في وسطكم كالذي يخدم »

وكذلك يُروى للعرب (م ٢ : ١٨٨) : « ما جُعل العبدُ كرَبِّه » وهو عين قول الربّ (متى ١٠ : ٢٤) : « ليس عبدٌ افضلَ من سيّده » كما انَّ مثلهم (م ٢ : ١٣٥) : « ليس عبدٌ باخٍ لك » هو مثل قوله (يوحنّا ١٥ : ١٥) : « لا أُسمّيكم عبيداً بعد لأنَّ العبد لا يعلم ما يصنع سيّدهُ ولكني سمّيتكم احبّائي »

وقال الربّ لبطرس لمّا سلّ سيفهُ فقطع اذن عبد رئيس الكهنة (متى ٢٦ : ٥٢) : « اردُدْ سيفك الى غمده لأنَّ كلّ من يأخذ بالسيف بالسيف يَهلك » رُوي لعليّ في نهج البلاغة على صورة : « من سلَّ سيف البغي قُتل به »

ومن الامثال التي استشهد بها المخلّص في الناصرة (لو ٤ : ٢٣) : « أيها الطبيب اشفِ نفسك » وهو كمثل العرب (م ٢ : ٢٠٧) : « يا طبيبُ طبَّ لنفسك »

ورووا بين امثال عليّ بن ابي طالب قولهُ (ص ١٠٦) : « من أكرم نفسهُ

اهانتهُ » وقولهُ (ص ١٠٨) : « من اطاع نفسهُ قتلها » وهو من اقوال الرب (يوحنا ١٢ : ٢٥) : « من احبَّ نفسهُ فانهُ يهلكها ومن ابغض نفسهُ في هذا العالم فانهُ يحفظها للحياة الابديَّة »

ومن امثال العرب (م ٢ : ٣٢١) : « اليسير يجني الكثير » يروى لاكثم بن صيفي. وقريب منهُ قولهم (م ١ : ٣٢١) : « الشرُّ يبدؤهُ صغارهُ » . وقد قال الرب في معناه (لوقا ١٦ : ١٠) : « الامين في القليل يكون امينًا في الكثير والظالم في القليل يكون ظالمًا في الكثير » والى هذا المعنى يعود قول ابن سيراخ (١٩ : ١) : « الذي يحتقر اليسير يسقط شيئًا فشيئًا »

وقال الرب في عدم الاهتمام بالغد (متى ٦ : ٣٤) : « فلا تهتموا بشأن الغد فالغد يهتمُّ بشأنهِ يكفي كلَّ يوم شرُّهُ » اخذهُ العرب فقالوا (م ١ : ٦١) : « انَّ غدًا لناظرهِ قريب وهو يروى لامرئ القيس الذي قال ايضًا (م ٢ : ٣١٣) : « اليوم خمر وغدًا امر » وكذلك يقول العرب في امثالهم (م ٢ : ١٢٩) : « لكل غدٍ طعام »

وقال الرب ايضًا في شرّ الاقارب (متى ١٠ : ٣٦) : « اعداء الانسان اهل بيتهِ (راجع نبوءة ميخا ٧ : ٦) . وهو شبه مثل العرب المروي لاكثم بن صيفي : « الاقارب عقارب »

وقال العرب في الشهرة (م ١ : ٣١٣) : « اشهر من علَم » و « اشهر من نارٍ على علَم » وعلى ظننا انهُ مأخوذ من قول الرب (متى ٥ : ١٤—١٥) : « لا يمكن ان تخفى مدينة مبنيَّة على جبل ولا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال ولكن على المنارة لينير على كل من في البيت »

وكذلك في قول العرب (م ١ : ٣٣) : « ان اردتَ المحاجزة فقبل المناجزة » وفي قولهم (م ٢ : ٢٣٧) : « من سئم الحرب اقتوى للسِّلم » تنويهٌ الى قول الرب في لوقا (١٤ : ٣١—٣٣) : « ايُّ ملك يخرج ليحارب ملكًا آخر ولا يجلس اولًا ويشاور نفسهُ هل يستطيع ان يلاقي بعشرة آلاف من يأتي اليهِ بعشرين الفًا والَّا فيرسل سفارةً وهو بعيد ويلتمس ما هو من امر الصلح »

ومن امثالهم في التقريع (م ١ : ٢٣) : « انهُ لَصِلُّ أصلال » وقد سبق يوحنا

المعمدان (لوقا ٣ : ٧) فتفرَّع به بني اسرائيل فدعاهم « باولاد الافاعي »

وقد روى العرب بعض الامثال التي ضربها السيد المسيح دون الاشارة الى اصلها. فمن ذلك مثل ربِّ البيت الذي شارط العمّلة على دينار واعطاهم أُجرتهم على اختلاف ساعات شغلهم (متى ف ٢٠) فدونك هذا المثل كما رواهُ البخاري في صحيحهِ في كتاب الاجارة ونسبهُ الى محمد (طبعة ليدن ٢ : ٥٠) :

« حدَّثنا اسمعيل بن ابي اويس ... عن عمر بن الخطَّاب انَّ رسول الله صلعم قال : انَّما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمَّالاً فقال : من يعمل لي الى نصف نهار على قيراط قيراط ؟ فعملت اليهود على قيراط قيراط ثمَّ عملت النصارى على قيراط قيراط ثم انتم الذين تعملون من صلاة العصر الى مغارب الشمس على قيراطَيْن قيراطَيْن . فغضبت اليهود والنصارى وقالوا : نحن أكثر عملاً واقل عطاء . قال : هل ظلمتُكم من حقكم شيئاً . قالوا : لا . قال : فذلك فضلي أوتيهِ من اشاء »

وكذلك ابو الحسن عليّ بن هذيل (ص ٨٨ — ٨٩) روى مثل السيِّد المسيح للزارع الذي وقع زرعهُ في الطريق وبين الاشواك وعلى الصخور وفي الارض الجيِّدة (لوقا ف ٨) ونسبهُ الى بعض الحكماء قال :

وقد ضرب بعضُ الحكماء مثل الحكمة والحكيم الذي يُلقيها الى القلوب قال : انَّ الباذر خرج ببَذْرهِ الطيِّب ليبذرهُ فنثرهُ فوقع بعضهُ في ارضٍ محجرة بل في جَنَبات الطريق فلم يلبث ان اختطفتهُ الطير فذهب بهِ . ووقع بعضهُ في ارضٍ محجرة الَّا انَّ عليها ندىً وطيناً فرسخ البذر في ذلك الندى والطين ونبت شيئاً حتى اذا وصلت عروقهُ الى الحجر لم يجد مساغاً ينفذ فيهِ فتلف وفسد ويبس ووقع بعضهُ في ارضٍ رخوة الَّا انَّ فيها شوكاً نابتاً فنبت حتى اذا كان عند الإثمار خنقتهُ الشوك فلم يأتِ بثمرهِ . ووقع بعضهُ في ارض طيبة نقيَّة ليست على ظاهر طريق ولا على حجر ولا فيها شوك فنما وطاب وزكا ونبت واثمر فجاءت الحبَّة بأضعاف مضاعفة . ثمَّ فسَّرهُ فقال : فالباذر هو الحكيم الزارع الحكمة في القلوب وبذرهُ الطيِّب هو حكمتهُ وموعظتهُ الحسنة التي يلقيها الى القلوب وهي في تلقاء ذلك منقسمة الى الاقسام الاربعة المذكورة فمنها القاسي الذي اذا سمع الحكمة لم يعقد عليها لقساوتهِ فلم تلبث فيهِ . ومنها قلبٌ ظاهرهُ رقَّة وباطنهُ قساوة فهو في اوَّل سماع الحكمة يرقّ لها ويلذُّ بسماعها ويحنّ الى ذلك بتلك الرقَّة الظاهرة على قلبهِ ولا يعقد عليها بعزم لقساوتهِ . ومنها قلب يسمع الحكمة ويحبُّها ويحبُّ العمل بها الَّا انهُ قلبٌ قد اشتُحن بلُصوق الشهوات بهِ حتى صارت لهُ طباعاً فاذا عزم على العمل بما سمع اعترضت لهُ تلك الشهوات فمنعتهُ من اقامة وظائفها وافسدت عليهِ ما سمع فاختلط عليهِ امرهُ ولم يتمَّ لهُ مرادهُ . ومنها القلبُ النقي الصافي الخالي بفضل الحكمة المؤثر لها الذي لا همَّة لهُ في غيرها ولا شغل لهُ الَّا بها ولم تعلق بهِ شهوة تناقضها ولا داء يقطع عنها فهذا

القلب الذي تنمي فيهِ الحكمة ايمانًا وفهمًا وحفظًا وعلمًا وقولًا وعملًا وتبلغ بهِ افضل المراتب واعلى المراتب »

فهذه كلها من الاناجيل يضاف اليها بعض امثال من بقيَّة اسفار العهد الجديد كقولهم (م ١ : ١٢٠) : « اترُكْ الشرَّ يتركك » وقولهم (م ٢ : ١١٩) : « ليس اخو الشرّ من توقّاه » فمثلهُ قول القديس يعقوب في رسالتهِ (٤ : ٧) : « قاوموا ابليس فيهرب منكم » وكان ابن سيراخ قال قبلًا (٧ : ١) : « لا تعمل الشرَّ فلا يلحقك الشرّ »

ويقول العرب (م ٢ : ١٩٣) : « كما تزرع تحصد » فهو كما قال بولس في رسالتهِ الى اهل غلاطية (٦ : ٨) : « الانسان انما يحصد ما زرع » وفي امثال سليمان (٢٢ : ٨) : « مَنْ زرع الظلم حصد السوء »

وجاء في امثال علي (ص ٨) : « جلّ من لا يموت » وقال الرسول بولس في رسالتهِ الاولى الى تيموثاوس : « لهُ وحدهُ الخلود ... لهُ الكرامة والعزَّة المؤبدة »

ويضرب العرب المثل بالسحابة الفارغة من المطر المخيّبة لآمال الزارع فقالوا (م ٢ : ٢٠٢) : « ما هو الّا سحابة ناصحة » وقالوا (م ١ : ٢٦٧) : « ارى خالًا ولا ارى مطرًا » وكان الرسول يهوذا سبق ووصف المنافقين بقولهِ (١ : ١٢) : « هؤلاء سحبٌ بلا ماء تحملها الرياح »

ولعلّ مثلهم (م ٢ : ١٩٧) . « ما انت بخلّ ولا خمر » لهُ علاقة بقول صاحب الرؤيا (٣ : ١٦) . « انك لستَ باردًا ولا حارًّا . . . فقد اوشكتُ ان اتقيأك من فمي » (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

LE PALAIS DE DARIUS Ier A SUSE, 5e s. av. J.-C. — Simple notice par M. L. Pillet, *In*-8°, 106 *pp.*, 32 *fig.*, *Paris, Geuthner*, 1914. *Prix* : 5 *fr.*

قصر داريوس الاوّل في شوشن

في عددنا السابق تكلّمنا عن كتاب الآنسة بال (Miss Bell) في وصف قصر الاخيضر وها هوذا كتاب من نوعهِ ليس هو دونهُ في خطر موادّهِ وان لم يبلغ

القلب الذي تنمي فيهِ الحكمة ايمانًا وفهمًا وحفظًا وعلمًا وقولًا وعملًا وتبلغ بهِ افضل المراتب واعلى المراتب »

فهذه كلها من الاناجيل يضاف اليها بعض امثال من بقيَّة اسفار العهد الجديد كقولهم (م ١ : ١٢٠) : « اترُكْ الشرَّ يتركك » وقولهم (م ٢ : ١١٩) : « ليس اخو الشرّ من توقّاه » فمثلهُ قول القديس يعقوب في رسالتهِ (٤ : ٧) : « قاوموا ابليس فيهرب منكم » وكان ابن سيراخ قال قبلًا (٧ : ١) : « لا تعمل الشرَّ فلا يلحقك الشرّ »

ويقول العرب (م ٢ : ١٩٣) : « كما تزرع تحصد » فهو كما قال بولس في رسالتهِ الى اهل غلاطية (٦ : ٨) : « الانسان انما يحصد ما زرع » وفي امثال سليمان (٢٢ : ٨) : « مَنْ زرع الظلم حصد السوء »

وجاء في امثال علي (ص ٨) : « جلّ من لا يموت » وقال الرسول بولس في رسالتهِ الاولى الى تيموثاوس : « لهُ وحدهُ الخلود ... لهُ الكرامة والعزَّة المؤبدة »

ويضرب العرب المثل بالسحابة الفارغة من المطر المخيّبة لآمال الزارع فقالوا (م ٢ : ٢٠٢) : « ما هو الّا سحابة ناصحة » وقالوا (م ١ : ٢٦٧) : « ارى خالًا ولا ارى مطرًا » وكان الرسول يهوذا سبق ووصف المنافقين بقولهِ (١ : ١٢) : « هؤلاء سحبٌ بلا ماء تحملها الرياح »

ولعلّ مثلهم (م ٢ : ١٩٧) . « ما انت بخلّ ولا خمر » لهُ علاقة بقول صاحب الرؤيا (٣ : ١٦) . « انك لستَ باردًا ولا حارًّا . . . فقد اوشكتُ ان اتقيأك من فمي » (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

LE PALAIS DE DARIUS Ier A SUSE, 5e s. av. J.-C. — Simple notice par M. L. Pillet, *In*-8°, 106 *pp.*, 32 *fig.*, *Paris, Geuthner*, 1914. *Prix* : 5 *fr.*

قصر داريوس الاوّل في شوشن

في عددنا السابق تكلّمنا عن كتاب الآنسة بال (Miss Bell) في وصف قصر الاخيضر وها هوذا كتاب من نوعهِ ليس هو دونهُ في خطر موادّهِ وان لم يبلغ

شأوهُ في نفاسة طبعهِ وعظم شأنهِ فدارهُ على قصر داريوس الاوّل في مدينة سوس او شوشن . واوّل من وقف على آثارهِ صدفةً فاثارهُ من بطن الارض الاثري الشهير المسيو دي مورغان في حفرياتهِ سنة ١٩٠٨ . ومذ ذاك الحين لم يزل اصحاب البعثة يواصلون شغلهم لكشف دفائنهِ حتى اظهروا كلّ اقسامهِ . والكتاب الذي نحن بصددهِ لاحد المهندسين الذين اشتغلوا بتلك الحفريّات فاراد ان ينشر خلاصة تاريخهِ مع بيان خواصّهِ ووصف هندستهِ . وقد زيّن هذا التأليف بعدّة رسوم وتصاوير متقنة جميلة تأخذ بالابصار . ومما يزيد هذا الكتاب قدرًا علاقتهُ مع الاسفار المقدسة فانّهُ هو القصر الذي سكنهُ احشورش وفيهِ حدثت الامور التي سطّرها سفر استير اعني سقوط هامان ونجاة بني اسرائيل من الهلاك على يد استير الملكة ومردخاي وليها . ولا شكّ انّ هذا الكتاب كمقدّمة لتأليف اوسع واجلّ لنا الامل ان سيتحفنا بهِ قريباً المسيو دي مورغان وعمدتهُ ل . ر

El Sinai : Viatge per l'Arabia Petrea cercant les petjades d'Israel, pel B. Ubach O. S. B. del Monastir de Montserrat. *Barcelona, Vilanova I Geltrú*, 1913, *XII*-367

سياحة حديثة في طورسينا

روى المشرق (٩ [١٩٠٦] . ١٠٦٣ و ١١٢٩) تفاصيل رحلة احد آباء رهبانيتنا الى طور سينا سنة ١٩٠٦ وهو الاب ل . استفانسكي الذي صنّف بعد قليل كتاباً واسعاً في اوصاف ذاك الطور الجليل . وها قد اتحفنا حضرة الاب اوباخ البندكتي نزيل كليتنا بمصنف آخر في معناهُ روى فيهِ مع اخبار رحلتهِ سنة ١٩١٠ الى شبه جزيرة سينا خلاصة ما يُعرَف من تاريخها القديم والحديث في اللغة الاسبانية . وقد استفاد حضرة الكاتب من كتابات الذين تقدّموهُ لبيان الآثار التي استخرجوها من اعماق الارض مع وصف دير القديسة كاترينا وابنيتهِ القديمة والحديثة وتعريف سكانهِ الرهبان ومخطوطات مكتبتهم . وتتبّع آثار بني اسرائيل لمّا تاهوا في تلك الانحاء . فوصف مراحلهم كما انهُ اثبت ما وقف عليهِ من تاريخ سينا الطبيعي ونباتهِ وحيوانهِ . والكتاب مزيّن برسوم وخرائط وتصاوير بديعة تجعلهُ من امتع الكتب واجملها . فنثني على همة المؤلف ونتمنى لتأليفهِ رواجاً ل . ش

R. A. Stewart Macalister : The Language of the Nawar or Zutt, the Nomad Smiths of Palestine [Gypsy Lore Society, Monographs, n° 3], *London, B.Qnaritch, XII-216*

لغة النور او الزط

انَّ المشروعات الخطيرة التي يقوم بهـا جناب الاثريّ الشهير مكاليستر في انحاء فلسطين لم تشغلهُ عن الاهتمام بابحاث أخرى قوميَّة . فمن ذلك ابحاث واسعة خصَّصها بدرس قبائل من الشوارد لايزال سرّهم مكتوناً نزيد بهم اولئك الشذَّاذ الذين يدعوهم اهل الشام بالنَّور واهل رومـانية باسم تسيغان (tziganes) ويسمّيهم الالمان تسيغانر (tzigeuner) والترك چنكانه واليونان مصريين او قبط (γύφτος) والانكليز جپسى (gypsy) والاسبانيُّون جيتانو (gitano) وانطليان تسنغارو (zingaro) والفرنسويُّون بوهميين (bohémiens) . وهم قوم ذوو طباع غريبة سحنتهم الى الاوربيين اقرب منها الى الساميين . امَّا لغتهم فخليطٌ من لغات شتى كالتركيَّة والفارسيَّة والعربيَّة والفارسيَّة وغيرها . وقد انتهز المسيو مكالستر فرصة وجوده في فلسطين للتعمُّق في درس اخلاقهم وكان يراهم في القدس الشريف خـارجاً من باب دمشق فتردَّد عليهم واخذ عنهم فوائد لغويَّة متعدّدة اوقفتهُ على لغتهم . وقد دوَّن كل ما سمعهُ منهم في هذا الكتاب الجديد فوضعهُ على طريقة اصوليَّة مع بيـان قوانين تلك اللغة وذكر مقاطيع مختلفة كامثال وقصص نقلها عنهم وختمها بمعجم لغوي يحتوي كثيراً من مفرداتهم فلا شك انَّ العلماء يتلقَّون هذا الاثر الجليل بكلّ الارتياح والشكر على همَّة صاحبه ويستفيدون منهُ لحلّ رموز تلك اللغة الغريبة المستمازة من بلاد شتى حتى الهند وارمنية . راجع في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٨٦٥ الخ) عدَّة مقالات في النور وسائر احوالهم

ل . ر

José Sanchis y Sivera Canónico de la Catedral de Valencia : El Santo Caliz de la Cena (Santo Grial) venerado en Valencia, *Valencia*, 1914, p. 146

كأس الفربان في العشاء السرّي

كان حضرة الاب انستاس الكرملي نشر في المشرق (١١ [١٩٠٨] : ٢٥٤) نبذة عن صلبوت بيروت الذي روي عنهُ انَّ يهودياً طعنهُ في القرن السادس للمسيح فسال دمهُ فذكر انَّ الصلبوت المذكور يُكرم اليوم في كنيسة بلنسية الكاتدرائيَّة

بعد وصوله اليها بطريقة عجيبة . واردف الكاتب هذا الخبر برواية اخرى اعجب منها عن الكأس التي قرّب فيها السيد المسيح دمهُ الثمين ليلة آلامه . فروينا الخبر كما نقلهُ . وقبل ثلاثة اشهر مرَّ بنا في بيروت احد كهنة بلنسية فاهدانا كتاباً صنَّفهُ حديثاً في تاريخ تلك الذخيرة الثمينة حيث جمع كل ما روى عنها الكتبة الاقدمون وهو الكتاب المُتقن آنفاً يؤخذ منهُ انَّ الكأس المذكورة معروفة في بلنسية منذ السنة ١٣٩٩ . ومن ثمَّ لا يمكننا ان نجزم بصحَّة الاثر وترقيته الى عهد المسيح الّا انهُ يستحق الاكرام ومن الممكن انهُ من الآثار البيعيَّة الراقية الى القرون الاولى ل . ش

A. L. M. Nicolas : Le Béyan Persan. T. II. p. 174 ; T. III, p. 162 ; T. IV. p. 185, *Paris, P. Geuthner*, 1913-1914

تكملة كتاب البيان للسيد علي محمد الباب

ذكرنا قبل سنتين (المشرق ١٥ [١٩١٢] : ٢٤٣) اهتمام المسيو نيقولا قنصل فرنسة في تبريز سابقاً بنقل كتب اصحاب البدع الاسلاميَّة الجديدة في العجم ولا سيما كتاب البابيين المعروف بالبيان لصاحب الدعوة البابية السيد علي محمد المدعو بالباب . فهذا الكتاب قد ضمَّنهُ مؤلفهُ بجمل تعاليمهِ في الخالق عزَّ وجلَّ وفي رسالتهِ التي يجعلها فرق الدعوة النصرانيَّة والدعوة المحمَّدية والتي مآلها تأليه المخلوقات بعد اشتراكهم بالباب الوسيط بين الخالق والمخلوق . ومن يتصفح هذه التآليف يأخذه العجب من سخافة عقول البشر الذين يعمهون في طغيانهم ويجعلون الظلام نوراً والنور ظلاماً . فشكراً لله الذي انقذنا من الضلال بجلول كلمتهِ على الارض وكشفهِ حقائق الخلاص « بالنور المنير كل انسان آتٍ الى العالم » (يو ١ : ٩) ل . ش

Deutsch-persisches Konversationswoerterbuch, nebst einem Abriss der Former - und Satzlehre, aus dem Nachlass der Dr. Med. J. E. Polak, bearb. u. herausgeg. von Dr. phil. F. Saettler, A. *Hartleben's Verlag, Wien u. Leipzig*. 2 M.

اصول اللغة الفارسيَّة مع محادثات شتى ومعجم لاخصّ المفردات

قد اخذ محلّ « هرتلابن » على نفسهِ نشر كتب سهلة الطريقة لتعليم معظم اللغات الشائعة في زماننا . وهذا كتاب من ذاك الصنف خُصَّ بتعليم اللغة الفارسيَّة وهو اوَّل كتاب من جنسهِ ظهر في اللغة الالمانيَّة وضمَّهُ الدكتور پولاك كبير اطبَّاء

نصر الدين الشاه السابق واحد اساتذة مدرسة طهران الطبيَّة . وقد نظَّمهُ الدكتور ستار وصدَّرهُ بفصول افتتاحيَّة في صرف اللغة فلا شكَّ انهُ يفيد كثيرًا دارسي الفارسيَّة ولاسيما التجار المتعاملين مع بلاد العجم . وقد سُررنا بكون الطبَّاع لم يمثل كما يفعل اهل المانية بعض الحروف الفارسيَّة بحروف متعدّدة كالجيم بالحروف dsch والچيم بالحروف tsch فاصطلح عليها بحروف مفردة الاب ل . ونقال

SEVERUS IBN AL MUQAFFA' ALEXANDRISCHE PATRIARCHEN GESCHICHTE von S.Marcus bis Michael I 61-767nach der altesten1266 geschriebenen Hamburger Handschrift, im arab. Urtext herausg. v. Chr. Fr. Seybold. *Hamburg, L. Graefe*, 1912, IX-208

تاريخ بطاركة الاسكندريَّة لابن المقفَّع

وصفنا سابقاً في المشرق (٧ [١٩٠٤]: ٧٣٢ و١٣ [١٩١٠]: ٥٥١) جزئين من سير الآباء بطاركة الكرسي الاسكندري الاقباط لساويرس بن المقفَّع اسقف الاشمونين نشرهما الاستاذ المستشرق سَيْبُلد في مطبعتنا الكاثوليكيَّة . وقد وقف من هذا التاريخ على اقدم نسخة خطيَّة تُعرف وهي نسخة مكتبة همبورغ الراقية الى ١٢٦٦ للمسيح تحتوي تراجم ٤٦ من البطاركة من القديس مرقس الى البطرك خائيل وهو ميخائيل الاوَّل المتوفَّى سنة ٧٦٧ م وهي منقولة عن الاصل القبطي فاحبَّ الاستاذ المذكور نشرها تتمَّة لفوائد الطبعة السابقة . وقد طبعها طبعاً متقناً بحرفنا الاسطنبولي على علَّاتها واغلاطها الاصليَّة في مجموعة منشورات مكتبة همبورغ فاستحقَّ شكر محبّي التاريخ الكنسيّ الشرقيّ ل . ش

درب الصليب : مبحث تاريخي قانوني

تأليف الخوري شكرالله شدياق

طُبع بمطبعة المحروسة في القاهرة سنة ١٩١٦ (ص ١٢٤)

قد شاعت رياضة درب الصليب بين كاثوليك الشرق فاحسن حضرة الخوري شكرالله شدياق بوضع هذا الكتاب لبيان تاريخ تلك العبادة وشروطها لربح غفارينها الثمينة مستنداً في ذلك الى معلومات المجمع المقدَّس وبراءات الاحبار الرومانيين ثم ألحق تلك الايضاحات بصلوات درب الصليب نقلًا عن كتاب «عقد اللآل في جواهر الابتهال» وزيَّن كل مرحلة بصورة جميلة وختم الكتاب بعظة له في آلام

السيد المسيح. فترى ما في هذا الكتاب من الفوائد الروحية. على انهُ قد وقع غلط في الصفحة ٧٣ حيث نُسب الى البابا اكليمندس الرابع عشر ما لا يوافق زمانهُ. وعلى رأينا انَّ الاشعار المثبتة بعد كل مرحلة لا تليق كثيرًا بسذاجة هذه العبادة. واقلُّ لياقةً منها تصدير الكتاب برسم شقيق المؤلف ا. ص

الردّ الصريح على تشنيع سليم جقي القبيح

بقلم القس جرجس صقّال السرياني الكاثوليكي

طبع بمطبعة الاتحاد في بيروت سنة ١٩١٤ (ص ٩٦)

طُبع بعض السفهاء على شقشقة اللسان بل ضروب الهذيان فيظنُّون انَّ قحتهم وخبثهم يقومان مقام الادلة والحجج الواهنة. وما نشرهُ آخرًا سليم سامي جقي احد تبعة اليعاقبة في مطبعة دير الزعفران من هذا القبيل يسوّد وجه كاتبهِ اكثر من ان يلحق بالكثلكة عارًا. وكفى بالدين الكاثوليكي شرفًا ان اركان اليعقوبية يلتجئون اليهِ اليوم ويعترفون بمعتقداتهِ وان رجع بعضهم الى تقيُّئهم. وعلى كل حال لا يبقى بعد ردّ حضرة القس جرجس صقّال على جقي الّا ان يقرّ هذا باغلاطهِ ان كان في قلبهِ ذرّة من عزة النفس او ان يلزم الصمت صابرًا على ما جناهُ على نفسهِ من السذل بسوء تصرفهِ ل. ش

القانون الموقت لحكّام الصلح

طبع بمطبعة الاتحاد طريق النهر « بيروت » ١٣٣٢ (ص ٤٠)

تألفت منذ زمن قليل محكمة سيَّارة مخصوصة لكل قضاء بعنوان حاكم الصلح. فاقتضى الامر وضع قانون موقت لهذه المحكمة عرَّبتهُ نظارة العدليَّة وبلغتهُ المحاكم للعمل بموجبهِ. ثم صدرت بعد ذلك ذيول وتعديلات لهذا القانون فرأى جناب احمد افندي البابيدي باشكاتب محكمة تجارة بيروت من الواجب اعادة النظر في القانون المذكور فوقف على طبعهِ وعُني بتصحيحهِ ثم اضاف اليهِ الذيول والتعديلات المذكورة بعد اهتمامهِ بتعريبها. فجاء القانون وافيًا بالغرض لا غنى عنهُ لحكام الصلح وللملتجئين الى محكمتهم. والكتاب طُبع بنفقة مصباح افندي البابيدي صاحب المكتبة العثمانيَّة ل. ش

شذرات

التعليم اللاديني في الولايات المتحدة ألا ارادت بعض الدول الاوروبيَّة نشر التعليم المجرَّد عن كل دين كان احد البراهين التي استندت اليها انَّ اميركة الشماليَّة جارية على هذه الطريقة وانَّ اهلها يشكرون التعليم اللاديني ويرون فضلهُ . وها قد قام اليوم عقلاء اميركة يشجبون هذا التعليم ويطلبون من الحكومة إعادة التهذيب الديني في كل مدارسها العموميَّة واسعاف المدارس الحرَّة الجارية على هـذا التعليم . ومن جملتهم الرئيس السابق المستر تافت الذي اعلن سنة ١٩١٢ بان التهذيب الديني احسن ضمين لسعادة الناشئة . ومثلهُ المستر ستانلي هول (M. Stanley Hall) رئيس كليَّة كلارك (Clark University) قـال في خطاب : « اني من البروتستانت ولكن قد ثبت لدي بانَّ التهذيب الادبي لا يقوم في المـدارس دون العنصر الديني . وقال خادم البروتستانت فرنك دي ويت طالماج (Frank de Witt Talmage) : « انَّ الكنيسة الكاثوليكية وحدها قد اصابت في تهذيب الناشئة لجمعها بين العلم والدين » . ومما ينبِّه الافكار الى هذا الاقرار لوائح الجرائم المتعددة التي يقترفها المهذَّبون في المدارس اللادينيَّة فانَّ سنة ١٩٠٢ كان عدد المجرمين الذين تخرَّجوا في المدارس اللادينيَّة بالغاً ٣٥٠ اما الذين تهذبوا في المدارس الدينية فما تجاوز ٥ . وفي السنة ١٩٠٤ كان عدد الاولين ٤٠٦ والاخرين ٨ ثم في السنة ١٩٠٥ كان ٣٩٩ قبال ٩ وفي سنة ١٩٠٦ ٣١٨ قبال ٨ وفي سنة ١٩٠٧ ٣٦٧ قبال ٩ وفي سنة ١٩٠٨ ٥٤٢ قبال ٨ . وقد لحظوا مثل هذه النسبة في بقيَّة الدول الاميركية فتأمل ما سينال بلادنا من الرقي بشيوع المدارس اللادينيَّة

ثلاثة يسوعيُّون مكرمون كآلهة في الصين نشرت مجلة موزيون البلجيكية (Le Muséon, 1904, N°1, 61-64) نبذة غريبة لاحد الاباء اليسوعيين الاب ڤان هاي (L. van Hée) العالم بامور الرسالات الصينيَّة ما ملخَّصهُ : من اعجب ما وجدوهُ في هيـاكل الوثنيين في الصين ثلاثة تماثيل يعبدها الصينيون وهي تمثل ثلاثة من الرسلين اليسوعيين الذين بشروا بالايمـان المسيحي في الصين في القرن

السادس عشر والسابع عشر اولهم الاب ساتيو ريتشي الذي فتح الصين للمرسلين الكاثوليك ونشرنا في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٧٢١ و ٩١٥) ترجمتهُ العجيبة مع صورتهِ. وممَّا علمهُ هذا الاب الصينيين في باكين صناعة الساعات الدقَّاقة فأخذ المتنصرون يزاولون هذه الصناعة ثمَّ تعلمها منهم الوثنيون واذ عرفوا انَّ الذي أتى بها هو الاب ماتيو ريتشي اتخذوهُ كشفيعهم ولا ترى مخزناً للساعاتيين الَّا وفي صدرهِ تمثالٌ صغير لهذا اليسوعيّ يقدّمون امامهُ شمعاً احمر لاكرامهِ واللون الاحمر عندهم دليل التوفيق والفرح

والثاني هو الاب فرديناند ڤربيست (Ferdinand Verbiest) المرسل اليسوعي المولود في بلجيكا سنة ١٦٢٣ والمتوفى سنة ١٦٨٨ فهذا دخل الصين سنة ١٦٤١ وجعلهُ الامبراطور «كان هي» مديرًا اوَّل لمرصدهِ الفلكي ورئيساً على النادي العلمي الذي اقامهُ الامبراطور لدرس الرياضيات فاشتهر اسمهُ في كل الانحاء حتى انَّ الوثنيين انفسهم كانوا يعظّمونهُ. وقد وجد احد المرسلين المحدثين وهو الاب لويس غليار المتوفى سنة ١٩٠٠ تمثالهُ في احد معابد الصين في مقاطعة كيان سر في اعالي جبل لانخ شان اي جبل الذئب عند ضفة النهر الازرق اليمنى على مسافة ١٢ كيلو مترًا جنوبي حاضرة نان تنغ وعلى هذا الجبل هياكل وثنيَّة عديدة يحجُّ اليها الوف من الوثنيين ليكرموها بسجودهم وتقادمهم. فتمثال الاب ڤربيست هناك بينها وهو يمتاز عنها بزيهِ الفرنجي وسحنتهِ الاوروبيَّة

امَّا الثالث فهو الاب اليسوعي الفرنسوي فابر (Fabre) او لوفاڤر (Le Favre) فهذا وُلد في مدينة اڤينيون ثم أُرسل الى الصين سنة ١٦٣٠ وتوفّي هناك برائحة القداسة يوم عيد الصعود من السنة ١٦٥٩. وقد اشتغل بكل نشاط في تنصير الصينيين ومنحهُ الله اصطناع العجائب فردَّ كثيرين من اهل الصين الى الايمان. ومن معجزاتهِ انهُ احتاج يوماً الى ان يمرَّ في جبال مقفرة تدعى طالنغ تأوي اليها السباع والنمورة فحاول الناس ان يقنعوهُ بتغيير فكره. فلم يرضَ قائلًا: «انَّ هذا السفر هو لخدمة الله فالله سبحانهُ وتعالى يدفع عنّي كل ضرر. فسافر وقطع تلك الجبال سالمًا دون ان تقترب منهُ تلك الضواري. واعجبُ من ذلك ما يرويه اهل تلك النواحي انَّ النمورة منذ ذاك الحين لم تعد تؤذي احدًا من المسافرين. فهذه

المعجزة وغيرها كثير ايضاً دفعت الوثنيين الى اعتبار الاب فابر كاله نزل من السماء. فاقاموا لهُ على قمَّة جبل طالنغ هيكلاً وجعلوا في صدرهِ تمثال الاب فابر في زيّ كهنة النصارى بجلّتهِ الكهنوتية وقلنسوتهِ الرسمية حيث شاهده السيد الايطالي ريزُولاتي (M^gr Rizzolati) سنة ١٨٣٦ اذ توغَّل الى تلك الجبال. والصينيون يدعونهُ فنغ (Fang) ويكرمونهُ كحارس تلك الجبال. وقبرهُ معروف الى اليوم يكرمهُ الصينيون في قرية تدعى سياوتساتي فناهيك بهذا دليلاً ساطعاً على تفرُّد المرسلين اليسوعيين في الصين حتى انَّ الوثنيين انفسهم اقرُّوا بفضلهم وان اخطأوا في طريقة اكرامهم

﴿ تهافت الهلال ﴾ عادت مجلة الهلال الى ذكر ترع الريخ ووجود السكان في تلك السيَّارة بل افادت قرَّاءها ان رقيَّهم الهندسي والزراعي بلغ حدًّا لا يعرفهُ سكان الارض وانهم الان ساعون بتجفيف انجارهم (راجع عدد يونيو ١٩١٤ ص ٧١٥) فاستنتجنا من ذلك ان مدير الهلال صار يخابر رأساً اهل الريخ بالتلغراف اللاسلكي اذ يعلم من احوالهم ما لم يعلمهُ بعد اكبر الفلكيين في اعظم مراصد العمور (راجع ما مرَّ لنا عن الريخ واهلهِ في المشرق ٤ [١٩٠١] : ١٧٣ و١٢ [١٩٠٩] : ٧١٤ و ١٤ [١٩١١] : ٩٧٨) (١)

﴿ التبغ (الدخان) في العالم ﴾ حسبت احدى المجلات مجموع ما يُنفق سنويًّا في العالم من التبغ فوجدت انَّ محصولهُ يناهز على ثمن ٧٥٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك تُصدر منهُ الولايات المتَّحدة ما يساوي ٢٠٥,٠٠٠,٠٠٠ ولها التقدُّم على سواها في تجارتهِ ثمَّ تُصدر بعدها جزيرة كوبا بما يساوي ١٥٧,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ الهند الشرقيَّة ١١٥,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ انكلترَّة ٣٥,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ البرازيل ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ هولندة ١٨,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ مصر ١٤,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ الجزائر ٧,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ اليابان ٥,٠٠٠,٠٠٠ ف . اما البلاد التي تتقدَّم سواها في شربهِ فالمانية التي تقتني سنويًّا ما يساوي ١٥٧,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ الولايات المتَّحدة ١٦٠,٠٠٠,٠٠٠ ثمَّ بريطانية العظمى ١٢٥,٠٠٠,٠٠٠ . فانظر يا رعاك الله كم من

---

١) بينما كانت هذه الصفحات ماثلة للطبع اتبأتنا جرائد النمر بوفاة جرجي افندي زيدان فجأة فاسفنا لهذا الخبر الذي يُعَدّ مصاباً للآداب العربيَّة

المال يفنى سدًى ويستحيل الى دخان دون فائدة البتّة ولو وُزع من هذا المال مئة فرنك سنويًا للفقراء لسدَّ عَوَز ٧,٥٠٠,٠٠٠ فقير

أسئلة وأجوبة

س سأل حضرة ف . ف من افاضل كهنة الشرق ١ ما حكمكم في المدعين بأن النصارى حرَّفوا الانجيل . ٢ وما قولكم في الذين لم تبلغهم دعوة النصرانية ايمكنهم الخلاص دونما تحريف الانجيل — خلاص الذين لم تبلغهم الدعوة النصرانية

ج نجيب على (الاوَّل) ان تهمة من ينسب الى النصارى تحريف الانجيل باطلة قد فنَّدهـا المرحوم الاب انطون رباط تفنيدًا عاليًا في كتابه الانجيل الشريف فليراجع . ونجيب على (الثاني) انهُ من الايمان ان الله يريد خـلاص كل البشر (رسالة القديس بولس الى تيموثاوس الاولى ٢ : ٤) وانَّ الله يعطي كل انسان من البالغين الرشد نعمًا كافية يستمدُّ بها الخلاص الابدي ان كان امينًا في قبولها جاريًا على موجب معرفة ضميره والسُّنَّة الطبيعيَّة المكتوبة في قلبه

س وسال ر . ش احد قدماء طلبة كليتنا الاباء كم هي اقمار السيارات

اقمار السيارات

ج لا يُعرف اقمار السيارتين عطارد والزهرة . وان كانت ارضنا تبتهج بقمرها الوحيد فان للمريخ قمرين وللسيَّارة اورانوس اربعة اقمار وللمشتري ثمانية . ولزُحل التقدم على جميع السيَّارات اذ تدور حولهُ عشرة اقمار

س وسألنا مستفيد من رهبان الموارنة عن الهلال اهو شعار المسلمين جميعًا او الترك فقط وما اصلهُ

الهلال

ج الهلال شعار الدولة التركية بعد فتح محمد الثاني الغازي لمدينة القسطنطينية ومن المعلوم ان مدينة بوزنطيوم اليونانية التي قامت مدينة قسطنطين مكانها كانت تكرم ارطاميش او ديانا وهي إلهة قمرية فكانوا يمثلونها وعلى رأسها الهلال اشارةً الى نسبتها فاضحى الهلال شعار مدينة القسطنطينية واتخذهُ الاتراك كشعارهم الخاص لمَّا استولوا عليها

ل . ش

تعطّف سامٍ

كنّا رفعنا نسخة من كتابنا البرهان الصريح في اثبات الوهيّة المسيح الى مقام السيّد الجليل مار الياس بطرس الحويّك بطريرك الطائفة المارونيّة كدليل احترام واكرام بنوي وما كنّا نظنّ ان هذه التقدمة الزهيدة تستوقف انتظار غبطته. فاذا اشدّ ما كان تأثرنا اذ تلطّف السيّد السند فارسل الينا مع احد افاضل كهنة الكرسي البطريركي الرقيم الآتي الذي ضمّنهُ ارقّ عبارات انعطافهِ الابويّ وآيات تنشيطهِ لحقارتنا ولجميع ابناء رهبانيّتنا. فليتقبّل غبطتهُ عواطف شكرنا الحميم مع ادعيتنا الحارّة الى العزّة الالهيّة بأن تديم لنا مآثر لطفهِ ومحبّتهِ وتجزل جزاءهُ في الدارين

ل. ش

حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي المحترم

بعد اهداء البركة الرسولية لحضرتكم ووافر الاشواق الى مشاهدتكم على كل خير وتوفيق. قد طالعنا بزيد الارتياح مقالتكم النفيسة المعنونة « البرهان الصريح في اثبات الوهية المسيح » فاذا هي مصداق عنوانها بما تضمنت من البينات الجلية والشواهد التاريخية

المفحمة كلَّ مكابر يتجرأ على انكار الوهية السيد المسيح الثابتة بالنبوءات التي تحققت فيهِ وبالخوارق والمعجزات التي اجترحها وبتعليمهِ الالهي وسيرتهِ التي هي غاية في القداسة

فلله درُّك ايها الاب العالم العامل الذي جاهدت في سبيل الله جهاد الابطال ولم تزل تجاهد في هذه الامصار الشرقية التي كثر فيها عدد المتخرصين على الدين الحقّ وهم ليسوا على شيء من معرفة حقائقهِ الراهنة ومبادئهِ الراسخة. وعليهِ لا نرى بدًّا من ان نوجّه اليك عبارات التهنئة والتنشيط مثنين اجمل الثناء على حميتك الدينية وغيرتك الرسولية ومواصلتك غير هيَّاب ولا وجل محاربة اعداء ايماننا القويم بكلمة الله التي تنقض كل علو يتشامخ ضد معرفة الحق. ذلك اسوة باخوانك الاعزاء ابناء تلك الجمعية الشريفة المفاخرة بانتمائها الى يسوع الذي اتخذت اسمهُ وشعارهُ وناضلت عن دينهِ المقدس في كل اين وآن بالقول والعمل واحتمال ضروب الجسور والاضطهاد في سبيله فنالت مجدًا عظيماً وفخرًا دائماً حتى صحَّ ان يقال عنها بكل جدارة سند الكنيسة المقدسة

هذا ونحن نسأل الله سبحانه ان يفيض عليك وعلى هذه الجمعية العزيزة بركاته الالهية ويؤازرك بامداداتهِ العلوية لتقوى على مواصلة السعي وراء تمجيده تعالى وتقديس النفوس وعربوناً لذلك نهدي اليك تكرارًا بركتنا الرسولية من صميم الفؤاد

١٢ شباط سنة ١٩١٤

الحقير

الياس بطرس

البطريرك الانطاكي

ملحق

بمجلة المشرق العدد الثاني من السنة ١٩١٤

صورة قبول المرتدّ والمنفصلين في الكنيسة

سألنا احد المرسلين الافاضل ما هي الرتبة الواجب حفظها عند ارتداد الهراطقة والمنفصلين الى الكنيسة المقدّسة وقبولهم في حجرها. نجيب على السؤال حاصرين الكلام في النقطتين علماً الى احدى الشيع المنفصلة او الهرطوقية اذا بلغوا رشدهم واتمّوا السابعة من عمرهم. ان المجمع المقدس اصدر في تاريخ ٢٠ ايلول سنة ١٨٥٩ حكماً في شأنهم يؤخذ منهُ ما يلي (١: اذا ثبت عدم عماد المرتدّ او انّ عمادهُ فاسد وجب العماد وكفى بهِ امّا اذا كان عماد المرتدّ ثابتاً او مشكوكاً فيهِ فيجب قبولهُ في الكنيسة على الصورة الآتية:

١ يتلو المرتدّ صورة الاقرار بالايمان وان كان بالغاً يضيف اليهِ جحود اضاليلهِ. ويجري ذلك رسمياً (juridice) اعني بحضرة الاسقف او كاهن مفوّض منهُ وبحضور شاهدين على الاقلّ. ويُعتبر بالغاً الفتى الذي اتمّ الرابعة عشرة من عمرهِ والفتاة المتمّة الثانية عشرة

٢ يمنح الاسقف او الكاهن المفوّض منهُ للمرتدّ الحلّة من التأديبات الكنسيّة التي ربّما تكون لحقت بهِ. وتصحّ هذه الحلّة حتى في القضاء الخارجي (pro foro externo)

---

١) راجع مجموع احكام المجمع المقدس Collectanea S. C. de Propaganda Fide, I, n° 1178)

٣ اذا كان داعٍ صوابيّ للشك في عماد المرتدّ يُعاد عماده شرطيًّا

٤ ثمّ اذا اقتضى الامر يُسمع اعترافهُ ويُحلّ من خطاياهُ . واذا سبق عماده شرطيًّا يُمنَح ايضاً الحلّة شرطيًّا . ولا مانع من استماع اعتراف المرتدّ قبل ان يتلو صورة الايمان لكنّ الحلّة السرّية لا يجوز أن تُعطى الّا بعد العماد اذا اقتضى وبعد الحلّ من التأديبات في الترتيب المذكور

ولا ريب انّ هذه الاحكام تتناول المرتدّين من الشرقيين ايضاً كما يتّضح من عدّة نصوص للكرسي الرسولي (Collectanea,I, n° 2395, II, n°s 1341, 1496, 1566, 1633,1634)

واما اولاد المرتدّين فان كانوا معمّدين ولم يتّبعوا علناً شيعة هرطوقيّة او منفصلة بعد بلوغهم سنّ التمييز وتمام السابعة من عمرهم فانهم يُعتبَرون ابناء الكنيسة ولا حاجة الى رتبة خاصّة لقبولهم فيها

وقد وضع المجمع المقدّس سنة ١٨٩٠ صورةً مختصرة للاقرار بالايمان خصّها بالمرتدّين من الشرقيين وضمّنها جحود الهرطقة والشقاق . وقد طُبعت في مطبعتنا ترجمتها العربيّة بمصادقة نيافة القاصد الرسولي كما نوردها ش ١٠

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين

انا (فلان او فلانة)

أومن ايماناً ثابتاً واعترف بكل ما يتضمّن إجمالاً وافراداً قانون الايمان الذي تستعملهُ الكنيسة الرومانيّة المقدسة اي :

اومن باله واحد آب ضابط الكل خالق السماء والارض كل ما يُرى وما لا يرى . وبربٍ واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور . اله من اله نور من نور . اله حق من اله حق . مولود غير مخلوق . الواحد مع الآب في الجوهر . الذي بهِ كان كل شيء . الذي من اجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسّد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس وصُلب من اجلنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم ومات وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد الى السماء وجلس عن يمين الآب وايضاً سيأتي بمجدٍ عظيم ليدين الاحياء والاموات

الذي لا فناء لملكه وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب والابن. الذي مع الآب والابن يسجد له ويمجد الناطق بالانبياء. وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية. واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وارتجي قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي. امين

أؤمن بان سيدنا يسوع المسيح هو اله وانسان. اله تامّ وانسان تام. وان اللاهوت والناسوت باتحادهما في شخص ابن الله الواحد اتحادًا يفوق الوصف والادراك أقاما لنا واحدًا هو يسوع المسيح. ومن ثمَّ فالعذراء الكلية الطوبى التي حُبل بها بلا دنس الخطيَّة هي والدة الله حقًّا. وان في المسيح طبيعتين بغير اختلاط ومشيئتين طبيعيَّتين وفعلين طبيعيَّين

أؤمن بوجود سبعة اسرار حقيقية في الشريعة الجديدة رسمها سيدنا يسوع المسيح لاجل خلاص الجنس البشري وإن لم تكن جميعها ضرورية لكل انسان. وهي المعموديَّة والتثبيت والافخارستيا والتوبة والمسحة الاخيرة ودرجة الكهنوت والزيجة. وانَّ كلًّا منها يمنح النعمة وانَّ ثلاثة منها وهي المعموديَّة والتثبيت ودرجة الكهنوت لا يمكن تكرارها

أؤمن ان جسد المسيح يتقدس حقيقةً في الخبز القمحي فطيرًا كان او خميرًا. وان المسيح يُقبَل كلُّهُ بتمامه في التناول ولو قُبل تحت احد الشكلين فقط

أؤمن ان رباط الزيجة لا يُحَلّ ولو امكن افتراق الزوجين مضجعاً وسكنى لزنىً او لرطقة او لاسباب اخرى غير انهُ لا يحل لهما والحالة هذه عقد زواج آخر

أؤمن ان التائبين حقيقةً اذا ماتوا بحال محبَّة الله قبل ان يوفوا عن خطاياهم الفعلية والاهمالية بتقديمهم اثمارًا لائقة بالتوبة تُطهَّر نفوسهم بعد الموت في عذابات المطهر. ولكي يُفرَّج عنها من تلك العذابات تفيدها اسعافات المؤمنين الاحياء اي ذبائح القداديس والصلوات والصدقات والاعمال الاخرى التقوية التي اعتاد المؤمنون ان يقدّموها عن غيرهم من المؤمنين حسب رسوم الكنيسة. وان نفوس الذين بعد قبولهم العماد لم يتدنسوا بأدنى خطية البتة والنفوس التي بعد تدنيسها بالخطيَّة تطهَّرت إما حال وجودها في اجسادها او بعد الممات تُقبَل حالًا في السماء وتعاين جليًّا الله عينهُ المثلث والواحد كما هو بذاته معاينةً يختلف كمالها بحسب اختلاف الاستحقاقات. أمَّا الذين يموتون وعليهم خطيئة فعليَّة

مميتة او الخطية الاصلية فقط فتهبط نفوسهم حالًا الى الجحيم لكي تُعاقب لكن بعقوبات مختلفة

أؤمن ان الكرسي الرسولي المقدس والحبر الروماني الرئاسة على المسكونة كلها وان الحبر الروماني ذاتهُ هو خليفة الطوباوي بطرس رئيس الرسل والنائب الحقيقي للمسيح ورأس البيعة كلها وابو المسيحيين قاطبةً ومعلمهم وانهُ تسلَّم في شخص مار بطرس من سيدنا يسوع المسيح السلطة التامَّة ليرعى الكنيسة كلها ويدبّرها ويسوسها

واقبل ايضاً بثبات مُعترفاً بسائر ما سُلِّمتهُ وحدِّدتهُ واعلنتهُ القوانين المقدسة والمجامع المسكونيَّة لاسيما المجمع الفلورنتيني والتريدنتيني والواتيكاني وخاصةً في ما يتعلق برئاسة الحبر الاعظم الروماني وعصمة تعليمهِ وارفض واحرم كل ما تحرمهُ الكنيسة من الضادات والانشقاقات والاوطقات . وهذا الايمان الصادق الذي لا خلاص لاحدٍ خارجاً عنهُ اعترف بهِ طوعاً وبهِ امسك حقًّا واريد بعونة الله ان احفظهُ واقرّ بهِ الى آخر نسمة من حياتي

هكذا انا (فلان او فلانة)

يضع يمينهُ على كتاب الاناجيل

أعد وأُقسم . هكذا فليعنّي الله وانا جيلهُ هذه المقدّسة